لوحة بدمائي

براهمية روعة

دار خيال للنشر والترجمة
تجزئة 53قطعة. رقم 27 بلميور
برج بوعريريج -الجزائر-
0774465958
035865297
Khayaleditions@gmail.com
ردمك : 978-9931-06-804-4
الإيداع القانوني : أكتوبر2024

أهديك لوحة بدمائي ..
أنا أهديك هذه اللوحة، و معها ألمي و أملي
و كل ما يحويه قلبي الجريح
و معها تعبي و شغفي،
أهديك قصة فتاة تزورني كل ليلة قبل النوم
تنظر إلي بعيونها الميتة..
منتظرة مني أن أفهمها.

{1}

لعنة الشعر الاحمر

كانت جانيت مستلقية على العشب مستحمة بأشعة الشمس مع النسمات المريحة، حولها أزهار حمراء كلون شعرها المموج الطويل أزهار تدعى أمارلس، و يتسلل إلى مخيلتها طيف امرأة ذات جمال أخاذ بشعرها الأحمر و ابتسامتها المنعشة، اختلطت مشاعرها في تلك اللحظة دون سبب واضح، من لهفة، و عتاب و عشق، و خيانة.. لم تكن تلك أول مرة تزورها

وقفت جانيت فجأة بحماس كبير وبدا شعرها مبعثرا، حملت اللوحة الخشبية ناصعة البياض التي كانت بجانبها و حقيبة قديمة كانت تضع فيها ألوانا وفرشا للرسم.

ذهبت تركض عبر التلال الخضراء على عجلة، خافت أن تختفي صورة المرأة الجميلة من مخيلتها حتى تعثرت وسقطت، انجرحت يدها بسبب حجر حاد، لكنها وقفت و واصلت الركض.

وصلت أعماق الغابة التي تميزت برونقها الاخضر و اصوات العصافيرالمبتهجة، حيث اعتادت أن تجلس امام شجرة ضخمة، تسللت اشعت الشمس من بين الاغصان و الاوراق مشكلة حزما ضوئية، أخذت الرياح أوراق الأشجار هنا و هناك بصوت مريح، فوضعت جانيت اللوحة امام شجرة و وضعت بجانبها الحقيبة و جلست.

أغمضت عينيها و وجدت أن المرأة واقفة قرب الشجرة تنتظر، لم تملك جانيت كلمات لوصف سحرها، ابتسمت لها و بدأت ترسم بحماس حتى شعرت بألم في يدها، جلست تتأمل الجرح الذي كان ينزف.. و وضعت فرشاة الرسم فوق الدماء، استعملته في التلوين من دون تردد.

تميزت القرية بمنازل متباعدة و بسيطة، التي كانت تريح النظر بلونها الباهت، كانت البيوت ذات رائحة طبيعية مستوحاة من الورود البرية وأشجار السنديان مع مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، حتى تسارع اليوم و بدأ منظر الغروب يرسل أشعته البرتقالية في الأنحاء.

أسرعت جانيت للعودة إلى المنزل لتجد والدها وقد امتلأ وجهه تجاعيدا واقفا قرب باب البيت، ذلك البيت السوداوي و تلك الاجواء الكئيبة تجبرها على الصمت.

اقتربت جانيت من والدها فصاح والدها : تأخرت كثيرا عن موعد العودة إلى البيت.

أنزلت رأسها و بقيت صامتة متمسكة بلوحتها و حقيبتها بإحكام، دخل والدها البيت و دخلت جانيت من بعده و أغلقت الباب، كان منزلا بسيطا متكون من طابقين ذا أثاث عتيق، كانت والدتها تجلس بجانب المدفئة ورائحة الدفء تنبع منها،

-جانيت تعالي إلي يا ابنتي.. لاشك أنك تشعرين بالبرد، لماذا لم ترتدي معطفك هذا الصباح؟

اقتربت جانيت من والدتها و جلست بقربها على الأرض و قدمت لها اللوحة التي كانت تقوم برسمها في الغابة، ابتسمت الأم

-من هي المرأة التي رسمتها، هل هي جانيت عندما تكبر ؟

سعدت الأم برسم ابنتها و ابتسمت لها والأب في ركن من الغرفة يصلح الخزانة المكسورة بوجهه المعتاد ذي ملامح تفيض بالغاضب، فقالت الأم : في المرة القادمة التي تزورنا فيها الجدة لوسي يجب أن تشكريها جيدا، لقد تكفلت بتوفير الألوان و اللوحات من أجلك.

-تلك الشمطاء دائما ما تتدخل في أمور لا تخصها!

-لكن جانيت حفيدتها!

-لو كانت تستحق أن أذكرها بالخير لما تخلت عني

-ألم تطلب منك العيش معها بعد أن اشترت منزلا كبيراً؟ لا تتحدث هكذا أمام جانيت ..

عم الصمت فجأة، وقف والد جانيت من الكرسي مغادرا الغرفة ذاهبا إلى غرفة نومه، وقد امتزج صوت خطواته فوق الأرضية الخشبية مع صوته المنخفض : تبا للمدينة و تبا لتلك العجوز الشمطاء..

ربتت والدة جانيت على رأس ابنتها بحزن، و بعد تناول جانيت وجبة العشاء أخذتها والدتها إلى سريرها، ثم قبلت جبهتها بلطف و اقتربت من أذنها ، و همست بصوت حنون ذي نغم لطيف :

-أحلام سعيدة يا جانيت أنت طفلة طيبة، أنا دائما ما أدعو لك حتى يحدث لابنتي أشياء جيدة كل يوم، أنا أحبك

في اليوم التالي استيقظت جانيت وغيرت ملابسها و مشطت شعرها الأحمر بكل وحشية، نظرت لنفسها في المرآة لم تشبه أبدا والديها اللذين كانا بملامح عادية مندمجين مع جو الريف الطبيعي ، أما هي تميزت بملامح وجهها البهي و شعرها الصاخب لونه، ذهبت للمطبخ لتجد والدتها تعد طعام الغداء فقالت لها: جانيت ، صباح الخير

-صباح الخير

-الفطور فوق الطاولة تناوليه، و تعالي ساعديني في إعداد الغداء. ألم يحن وقت تعلمك الطبخ بعد؟..

نظرت جانيت بتمعن إلى ظهر والدتها وهي واقفة في المطبخ تقطع الخضر، ويداعب أنفها رائحة ذلك الحساء الذي قد حفظت طعمه و مكوناته المعتادة، كانت كل أيام الأسبوع روتينية من دون ان يتخللها شيئ قد يبهج.

اتجهت جانيت نحو الباب و خرجت من المنزل بكل هدوء، بعد لحظات أحست والدة جانيت بالسكون، فاستدارت خلفها فلم تجد جانيت، فتنهدت و استمرت في الطبخ..

جلست جانيت بالقرب من شجرة، ومر خلفها مجموعة من الفتيات، سمعت بالصدفة كلامهن مع ضحكات كانت تدوي في اذنيها. قالت إحداهن بملامح اللامبالاة: جانيت لا تملك والدين هذا ما قالته لي أمي!

ردت الأخرى عليها بسخرية : هذا صحيح، لأنها لا تشبه والدها أو والدتها، و قالت لي أمي أن جانيت ظهرت فجأة في القرية و عمرها خمس سنوات، و والدتها لم تكن حاملاً حتى..

و في يوم من أيام الخريف مع لون الأشجار البرتقالي المحمر و النسمات الباردة نزلت أمطار غزيرة في الليل، وعند حلول الصباح خرجت جانيت وهي تحمل دفترا و قلما لترسم الأشجار و الغيوم، فقام أحد الأولاد بدفع جانيت في بركة من الوحل فقال ساخراً منها

-يجب أن تقومي بشكري لقد أصبح لون شعرك الآن بنيا بسبب الوحل،

و بدأ جميع الأطفال بالضحك على جانيت، فصرخ أحد من بعيد و قد كان يدعى فليكس : توقفوا عن الضحك هذه ليست بنكتة حتى فما بال الشعر الأحمر ؟ إنه جميل جدا!

عم الصمت ، وقفت جانيت من على الأرض وقد كانت مغطاة بالوحل و هي تنظر إلى الأسفل، و من دون أن تنظر إلى وجه أي أحد منهم غادرت مسرعة نحو النهر، و تبعها فليكس بعد أن وبخ الأولاد و حذرهم أن يكرروا هذا الفعل، فجلست تنظف يديها و تغسل وجهها و تحاول تنظيف شعرها من الوحل، جلس فليكس بجانب جانيت و نظر إليها بكل فضول، ابتسم ثم قال : إن لون شعرك جميل جدا!

. أنا آسفة

-لا داعي للاعتذار أبدا ، اسمي هو فليكس و أنت؟

. جانيت.

-تشرفت بمعرفتك ، لمَ لا نكون أصدقاء ؟ هل تريدين أن نلعب معا ، هل آتي إلى بيتك غدا ؟ ماهو طعامك المفضل؟ ،هل لديك هواية ؟

نظرت جانيت إلى عينيه التي كانت مشعة بالحماس كان ذا شعر أسود و بعينين باللون الأسود، قالت جانيت بتردد : أنا ... أرسم

-هذا رائع جدا ، هل يمكنني أن أشاهد رسمك؟ ليكن في علمك بأنني زرت العاصمة مع والدي من قبل، و شاهدت هناك لوحات كثيرة، يمكنني أن أقدم لك نصائح.

شعرت جانيت بالتوتر وهي تستمع إلى حديثه السريع و الغير مفهوم، فهربت مسرعة إلى البيت، ابتسم فليكس و صاح : غدا سوف آتي إلى بيتك.

-و كيف ستعرف مكان منزلي ؟

يركض فليكس خلفها: سوف أتبعك و أعرف أين يقع بيتك.

تضحك جانيت و تستمر في الركض حتى تصل إلى البيت، تلقت جانيت التوبيخ من والدتها على اتساخ ملابسها، و لكنها لم تتوقف عن الابتسام أبدا، في اليوم التالي حملت جانيت حقيبتها و لوحاتها وأسرعت بالخروج من البيت، وجدت فليكس جالسا قرب شجرة قريبة من بيتها، فأسرعت نحوه.

ذهب فليكس و جانيت إلى النهر و جلسا، شاهد فليكس لوحات جانيت بكل اهتمام و حماس، و أعجب بهم كثيراً . حدثها عن زيارته في العام الماضي للعاصمة مع والده، و قد حالفه الحظ بدخول معرض لاللوحات، و قد كان الرسامون يضيفون توقيعهم بالأسفل و اقترح على جانيت كتابة اسمها فلم تكن متعلمة لا تعرف الكتابة أو القراءة ، فساعدها فليكس على كتابة اسمها.

و يوما بعد يوم أصبح فليكس و جانيت صديقين مقربين يلتقيان تقريبا كل يوم، و في أحد الأيام جلسا على الأعشاب تحت ظل شجرة، نظر فليكس إلى السماء وقال : أريد أن أصبح مزارعا مثل والدي..

-و أنا أريد أن أرسم كثيرا، و أن يحب الكثير من الناس لوحاتي و يبتسمون عند رؤيتها.

شاركها فليكس الكثير من الأفكار في الرسم، و أعجبت جانيت بأفكاره كثيرا كان يشجعها و قد كانت جانيت أكثر سعادة و إشراقا من أي وقت آخر .. و كلما عادت إلى البيت تسيطر عليها أجواء البيت لتعود إلى حالتها الكئيبة و المعتادة، لكن الفرحة لم تدم طويلاً.. لم يعد فليكس يلتقي بجانيت كثيرا، و مع الوقت لم يعد فليكس يأتي إليها أبدا.

فشعرت بالقلق و بعد أسبوع استجمعت ما تبقى لها من شجاعة، و أخذت قبعة صوفية أخفت بها شعرها و خرجت من المنزل، التقت بامرأة كبيرة في السن قرب منزل فليكس، فسألتها جانيت وأجابتها: تقصدين فليكس واتسون، لقد مرض والده و لم يعد يستطيع إدارة المزرعة، و قد كان عليهم ديون كثيرة، فاضطر والده إلى بيع ممتلكاته و السفر إلى العاصمة حتى يبحث عن عمل جيد هناك.

أحست جانيت أنها لن ترى فليكس مرة أخرى فتبدأ الدموع تنزل ببطء، و ترى الكون من خلال تلك الدموع سوادا وكأن الحزن أخذ بيدها ليجول في القرية و هي تسير ذاهبة إلى المنزل،

بعد مرور عام كامل عن زيارة الجدة لوسي، قد نفدت أدوات الرسم، فطلبت من والدها أن يأخذها إلى جدتها، فصاح والدها في غضب: مستحيل أنا لن أذهب إلى منزلها، لاشك أنها ماتت.

مسحت الأم على رأس جانيت و احتضنتها، وقالت : هذا غير صحيح، لا تقلقي سوف تأتي الجدة مرة أخرى، وسوف تحضر لك أدوات الرسم كما تفعل كل مرة..

سألت جانيت بكل براءة : و لكن لماذا تأخرت هذه المرة ؟

-لابد أنها نسيت فحسب، إن كبار السن ينسون كثيراً.

و في يوم مشمس جميل أخذت جانيت ما تبقى من أدوات بسيطة للرسم و ذهبت إلى الغابة، ثم عثرت على كوخ في آخر الغابة قامت بوضع جميع لوحاتها هناك خوفا عليها، ثم بحثت عن موقع جميل و نزعت قبعتها و وضعت أدوات الرسم على الأرض ، وسط تأملها و تفكيرها العميق لم تعد تشعر بالأصوات من حولها.

حتى اقترب من مكان تواجدها فتى غريب يدعى إدوارد، ذو شعر بني اللون و عينين باللون الأخضر. فإختبأ خلف شجرة بعيداً عنها وهو ينظر إليها باستغراب، وهي مغمضة العينين و تأخذ نفس عميقاً.

ثم قال لنفسه : من الواضح أنها من سكان قرية لاريسا و لكن هل يعلمون الرسم في تلك القرية ؟ هذا مستحيل..

تأمل شعرها الأحمر الجميل، و بعد لحظات رفعت الفرشاة و فتحت عينيها، وكأنها توصلت لفكرة جيدة لترسمها ، فشعر إدوارد بالفضول و الحماس للرسمة التي كانت سترسمها.. و فجأة اقترب من جانيت ثعبان مندمج لونه مع العشب.. فاقترب أكثر و أكثر من جانيت و لدغها على ساقها فتصرخ عاليا من الصدمة : ثعبان!!

يتفاجأ إدوارد من صراخها ،فتقع عيناه على الثعبان و لم يفكر أبدا، تحركت قدماه من دون أن يشعر هرباً من الثعبان لكن تعثر وسقط، لكنه وقف بسرعه واستمر في الهرب، و خرج من الغابة .

تألمت جانيت كثيرا من لدغة الثعبان ، نظرت إلى الجرح الذي ينزف دون توقف، و فجأة من دون تردد أمسكت الفرشاة و وضعتها فوق دمائها، ثم بدأت الرسم باستخدام دمائها.

في اليوم التالي استيقظت متأخرة، و قررت أن تقوم بتنظيف غرفتها و تخزين لوحة المرأة ذات الشعر الأحمر تحت السرير، ثم خرجت لتتفقد الكوخ، فلم تعثر على اللوحات التي كانت تخفيهم هناك..

في طريق عودتها لمحت من بعيد والدها وهو عائد من النهر، فأسرعت نحو النهر و مرت بجانب والدها دون أن ينظرا لبعضهما البعض.

وصلت جانيت إلى النهر و وجدت أن لوحاتها مزقت إلى أشلاء و ألقيت في النهر ، فذهبت تتمشى ببطء في الغابة بجانب النهر الذي يمر من خلالها، ثم استلقت على العشب الرطب و أخذها النعاس و نامت ..

في المساء دخلت جانيت البيت، فأسرعت والدتها و أخذتها في حضنها، وقالت بصوت حزين جدا : أنا آسفة، و لكن والدك لا يكرهك ، لقد فعل هذا من أجلك، و يجب أن تفكري في الأمر بجدية و أن تتعلمي أعمال المنزل، إن هذا ما تكون عليه الفتاة الطبيعية في هذه القرية

-لماذا يجب أن أكون طبيعية على حسب معايير القرية؟

-لكي تستطيعي العيش بصورة طبيعية مثل الآخرين و تتزوجي، فيجب عليكي أن تتوقفي عن الرسم.

ابتسمت جانيت و نظرت إلى والدتها : زواج ؟ و من قد يتجرأ و يتقدم بطلب يد فتاة ذات شعر أحمر؟

. لا تقولي هذا يا جانيت، أنا أحبك يا ابنتي، كما أنني لم أشعر أبدا..

ثم تقاطعها جانيت بملامح اللامبالاة : أمي ، أنا أعلم أن أبي يكرهني جداً، حتى انه يستطيع تمزيقي و تحطيمي مثلما فعل بلوحاتي، دائما ما أسمع أهل القرية و الأطفال عن أنني فتاة يتيمة ، أنا لم أعد طفلة أصدق كل ما تقولينه لي..

فصفعتها والدتها بقوة، نظرت جانيت لعيني والدتها و ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها بقوة، تاركة والدتها وهي منصدمة جامدة في مكانها ، لا تعلم ما الذي يجب أن تفعله. تجلس جانيت على إطار نافذة غرفتها و تنظر إلى غروب الشمس و الدموع تنزل من عينيها بهدوء..

بعد أيام أُصيبت والدة جانيت بالمرض من التعب الشديد و العمل الكثير الذي تقوم به من اعتنائها بالمنزل و الطبخ و مساعدة زوجها في رعاية الأبقار و الزراعه.. فكانت تستلقي على السرير دائما ، و جانيت تعتني بالمنزل و بوالدتها المريضة ..

أراد والد جانيت أن يحضر الطبيب حتى يرى حالتها و يصف لها دواء، فكانت ترفض ذلك لأن هذا سيكلفهم مالا كثيرا لأن الطبيب يعيش في المدينة البعيدة و تكلفة سفر الطبيب و الدواء كبيرة..

ابتسمت والدة جانيت بصعوبة، و قالت : لابأس سوف أصبح بخير إذ ما ارتحت هذا اليوم في الفراش ..

تمتم والد جانيت بملامح غاضية وهو يغادر البيت : فلتموتي إذا.

بعد أن اقترب عيد ميلاد جانيت، أصبحت حالة والدتها تسوء يوما بعد يوم، أصبحت جانيت في السادسة عشرة من عمرها..جلست جانيت بجانب سرير والدتها و تحدثت كثيرا مع والدتها.. كانت تقول كل ما تفكر فيه و يخطر على بالها، حدثت والدتها عن فليكس و عن أنها قد أحبته و أرادت أن تلتقي به مرة أخرى و ترسمه و تهديه لوحة..

و بعد لحظات صمت لاحظت جانيت أن والدتها لم تتفاعل معها و كأنها لم تستمع، فظنت أنها نائمة أمسكت جانيت يد والدتها و احتضنتها و نامت بجانب سريرها طوال الليل..

في الصباح التالي ماتت والدة جانيت ، فلم تستطع جانيت البكاء .. بقيت مصدومة، و تحاول جاهدة أن تفهم، فلقد رسمت في مخيلتها والدتها و هي تعد لها بسكويتا كما تفعل عادة كل عيد ميلادها، و مع تلك الابتسامات الدافئة التي تصدر منها .

بعد أن انتهى الدفن و في المساء غادر أهل القرية، و عم الهدوء جلست جانيت على كرسي والدتها تتأمل القبعة الصوفية السوداء و التي كانت مزينة بوردة حمراء جميلة من الصوف و التي صنعتها والدتها .. و تفكر في كم كانت يد والدتها بالأمس باردة جداً

بعد يوم من وفاة والدة جانيت ، كانت أجواء البيت هادئة جداً و انعدم في تلك الأجواء التواصل بين الأب وابنته.. كانت جانيت تستيقظ بعد والدها و تطبخ غداء بسيطا, وفي بعض الأحيان يكون جيدا، و في بعض الأحيان يكون سيئا جدا ، و بعد أن تنتهي من إعداده تخرج من البيت لتتنزه تحت أشعة الشمس..

و في يوم من الأيام نسيت جانيت ارتداء قبعتها و بقيت تتجول في القرية غير مكترثة لنظرات أهل القرية لها، لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة نطقت بها،

استوقفها فتى من أطفال القرية، و بنظرات متكبرة، و قال : إذا أنت هي جانيت التي توفيت والدتها منذ أسبوع ؟

تجنبت جانيت النظر في عينيه، و تراجعت خطوة للوراء و تستدير حتى تهرب منه ،فيمسك بخصلات شعرها و يشده حتى تقع جانيت أرضاً، ثم يبتعد عنها كان كل ما سمعته سوى ضحكات مستمرة، فعادت جانيت إلى البيت و بحثت في أدراج الخزانة و حملت المقص، ثم دخلت غرفتها، وقفت أمام المرآة ثم نظرت إلى انعكاسها و جمعت خصلات شعرها و قامت بقصه..

خرجت تركض نحو الغابة و وصلت إلى الكوخ الذي كانت تخفي فيه اللوحات، جلست في داخله و الدموع تنزل من عينيها فتحت يدها و بدأت تعد..

-جدتي لوسي تحبني، لكنها لم تعد تأتي، فليكس شخص طيب لكنه غادر القرية ، ماما تحبني و ذهبت من هذا العالم و لن تعود أبدا..

غلبها النعاس و نامت في الكوخ المظلم و الموحش الذي لا يقي من البرد شيئا، و على أرضيته الصلبه و المتسخة

عادت إلى المنزل في صباح اليوم التالي، دخلت البيت في حالة من الهدوء و جلست على كرسي والدتها ، يدخل والدها البيت بعد لحظات في حالة حزن شديد نظر إلى جانيت و صرخ بحالة من الجنون

-من أنت أيتها الطفلة ؟ أنا لا أعرفك ، لا شك أنك السبب في موت زوجتي، أنا أكرهك..

لم ترد جانيت عليه و لم تنطق حرفا .. يصرخ والد جانيت مرة أخرى فيحمل الكرسي الذي أمامه و يلقيه على جانيت بقوة ، فتسقط جانيت على الأرض، و تفقد الوعي .. و استمر والدها في الصراخ و الغضب و الانفعال، وفجأة يعود إلى رشده بعد نصف ساعة من البكاء ، فقام بحمل جانيت و أخذها إلى غرفتها و وضعها على السرير

بعد يومين استيقظت جانيت وجدت طعاما فوق الطاولة بغرفتها فتناولته و خرجت من البيت، جلست بالقرب من باب البيت تتأمل العصافير فوق الأشجار، و لكنها لم تستطع سماع صوت العصافير، شعرت برغبة كبيرة في الرسم ، فتحدثت لنفسها:

-لماذا أصبحت الحياة ذات صوت منخفض، و ذات ألوان كئيبة، و ذات طعم حزين هكذا؟

بعد لحظات لمحت جانيت امرأتين تقتربان من بيتها، كانت تتأمل ملامحهما اللتين كانتا تدعيان الحنية و العطف، شعرت جانيت بالخبث و الكذب تنبعثان منهما .. اقتربت من جانيت التي كانت ملامحها الجامدة التي لا تعبر عن شيئ..

-صباح الخير يا جانيت ، أين هو والدك ؟

لم ترد جانيت عليها واكتفت بالنظر هنا و هناك و كأنها لا تسمعهما ..فقالت المرأة الأخرى في غضب : اسمعي أيتها الفتاة الغير مهذبة ،

يجب أن لا تتجاهلي من هم أكبر منك و أن تحترمينا ، لقد تكبدنا عناء إحضار الغداء لك و لوالدك المسكين.

-أجل إن والدك حقا رجل مسكين توفيت زوجته و بقي وحيداً ، آه صحيح أليس علينا أن نقوم بالبحث له عن زوجة ؟

-أنا أعرف فتاة ذات جمال و أخلاق في القرية لم تتزوج بعد و هي ابنة ...

ثم لم تنه المرأة من جملتها، و تقف جانيت و تدخل البيت و تغلق الباب بقوة .. تتعجب المرأتان من فعل جانيت، فتقول إحداهنما بعد تنهد عميق : سوف نترك علبة طعام الغداء عند الباب ، لا تأكليه كله لوحدك اتركي ، منه لوالدك.

ثم غادرتا المكان ، فتحت جانيت الباب و أخذت الطعام و وضعته فوق الطاولة و ذهبت إلى غرفتها ، استلقت على السرير محاولة أن تنام و تذهب إلى عالم الأحلام حتى تشاهد أحلام سعيدة ،و بعد أن غرقت في الحلم شاهدت في حلمها المرأة ذات الشعر الأحمر الطويل بفستانها الاحمر ، كلون عيونها الجذابة جالسة على كرسي و وسط الحديقة المليئة بالورود و رائحة الورد تملأ المكان .. ورود من كل الألوان هناك نافورة مياه قرب بوابة الحديقة الكبيرة، و قد كانت جانيت طفلة ذات ثلاث سنوات تركض متجهة نحو تلك المرأة، و لكنها لا تستطيع الوصول لها مهما ركضت.

و فجأة استيقظت و غيرت ملابسها، و إرتدت آخر قبعة صوفية صنعتها والدتها، وارتدت معطفها و خرجت إلى الغابة.

وبدأت تتجول في أرجائها و تنظر هنا هناك كأنها تأخذ آخر جولاتها في تلك الغابة ، اقتربت من الشجرة التي كانت ترسم بجانبها آخر لوحة لها ، جلست بجانبها و أسندت رأسها عليها و أغمضت عينيها ، وهي تتذكر ذلك الشعور الحماسي المليء بالسعادة و البهجة ، شعرت حينها بأنها قامت برسم أفضل لوحة بالنسبة لها.

بعد لحظات سمعت صوتا يقول : إنها تلك الفتاة.

فتحت جانيت عينيها و نظرت هنا و هناك، ثم لمحت إدوارد يقترب منها، تفاجأت لأنها لم تره من قبل، فقامت بطي ركبتيها بسرعة و أمسكتهما بذراعيها لتقلص حجمها، وقف أمامها مباشرة فرفعت جانيت رأسها و نظرت إليه، ثم أنزلت رأسها مرة أخرى ، ضحك إدواردعليها و جلس أمامها..

-لقد عرفتك أنت الفتاة التي كانت تقوم بالرسم تحت هذه الشجرة منذ نصف عام تقريبا ، أنا أتذكرك جيدا، كيف صرخت من لذغة الثعبان، آه صحيح أنا أعتذر لأنني لم أساعدك في ذلك الوقت لدي خوف كبير من الزواحف..

فنظرت جانيت باستغراب إليه، لأنها لم تشاهده في الجوار بذلك اليوم فقال مبتسما: قولي شيئا ،هل يمكنني أن أعرف اسمك ؟

لم ترد عليه جانيت و بقيت تنظر إليه بملامح ميته، فقال لها: أنا أسف لم أعرفك بنفسي، اسمي هو إدوارد..

كان إدوارد ينظر إليها بكل فضول منتظرا ردا منها، لكنها كانت شاردة الذهن فحسب، بعد لحظات صمت أجابت بصوت منخفض: جانيت..

وقف إدوارد من على الأرض وقال : اسم جميل .. في الحقيقه هذه زيارتي الثانية فقط لهذه القرية، أردت رؤيتك مرة أخرى..

قامت جانيت بإمساك قبعتها بكلتا يديها و نظرت إلى الأسفل، فنزع إدوارد قبعتها من رأسها حتى أخذت الرياح تداعب شعرها، ثم قال لها: أتذكر هذا اللون، لكن لماذا قمت بقصه لأنه..

لم يكمل إدوارد جملته و قاطعه مرافقه وهو يقف خلفهما تماما: هذا شيء نادر الحدوث، هل فتاة من الريف و أنت تمتلك خطيبة؟

يستدير إدوارد متفاجئا، فيمسك بيد جانيت و يركض هرباً، فيتبعهما مرافق إدوارد وهو يمشي ببطء، فقال إدوارد لنفسه وهو يركض: تبا لقد سمع دافين كل شيء.. هذا محرج، سوف يخبر الجميع عن أفعالي، وسوف أكون محط سخرية ، تبا..

بعد أن ابتعد إدوارد و جانيت عن مكان دافين، توقف إدوارد و سحب جانيت للاختباء خلف الأشجار ليأخذ نفسا وتحدث بصعوبة: أنا أسف .. أقحمتك في هذا الأمر، كل ما في الأمر أنني أردت أن أرى لوحتك التي قمت برسمها في ذلك اليوم..

لمعت عينا جانيت بفرح شديد، كانت جانيت تشعر بالحماس و الفرح لطلب إدوارد بكل اهتمام أن يشاهد لوحتها.

-هممممممم، إذا هذا هو السبب..

يتفاجأ إدوارد و جانيت بدافين الذي كان يقف خلفهما لأنهما لم يشعرا بوجوده أبداً، و بنظرات ثاقبة كان يوجهها إلى يد إدوارد التي كانت ممسكة بيد جانيت، فأسرع إدوارد و ترك يد جانيت..

-لا تفهم الموضوع بطريقتك المعتادة.

ضحك دافين بطريقة مبالغ فيها، قد كان بشعره البرتقالي و ملابسه السوداء مع تلك الابتسامة الغير مريحة بعمر العشرين سنة، ثم صمت فجأة و حملق بلامبالاة: يمكنك فعل ما تريد، و أنا يجب أن أكتب ما أراه مناسبا و مهماً في تقريري.. أليس هذا صحيحاً؟

نظر إدوارد إليه بانزعاج و أمسك بيد جانيت مرة أخرى وغادر: سوف أذهب معها الآن، و لا يحق لك أن تلحق بي.

بدأ إدوارد يمشي بخطوات سريعة و قصيرة، و سحب جانيت معه، و بعد أن ابتعدا كلاهما عن دافين بمسافة كبيرة، تنهد إدوارد وقال: هذا سيجلب المشاكل حقا.. !!

نظر إدوارد إلى جانيت التي كانت تنظر إليه متعجبة و شعرها الكثيف مبعثر بسبب الركض. أمسك ضحكته و أرجع لها قبعتها الصوفية، و اعتذر مرة أخرى وقال: أريد أن أشاهد لوحتك..

أمسكت جانيت يد إدوارد و ركضت نحو منزلها، كان إدوارد ينظر إلى شعر جانيت الذي تأخذه الريح و تأمل لونه الجميل، بعد أن وصلا إلى بيت جانيت تركت جانيت يد إدورد بالقرب من باب البيت فتحت جانيت الباب و دخلت دون أن تنطق حرفا ، فقال إدورد لنفسه :

-أليست جميلة و ظريفة جداً، لكنها لا تتحدث أبداً .. هل يعقل أنها تشعر بالتوتر؟ هل هي تحبني؟ هذا احتمال قوي..

بعد لحظات من انتظاره، بدأ أهل القرية ينظرون إليه باستغراب لوجود شخص مثله بملابس أنيقة توحي بأنه من عائلة نبيلة في منتصف قرية. فشعر بالتوتر من مراقبة الناس له فقال لنفسه : أعتقد أنه من الوقاحة أن أدخل البيت و أتبعها من دون الحصول على أذنها..

بعد لحظات من غياب جانيت ، خرجت من البيت وهي تحمل آخر لوحة رسمتها في الغابة ، تحمس إدوارد و مد يديه حتى يمسك باللوحة، استلمها و نظر إليها طويلاً..

كانت جانيت تنظر إلى إدوارد باهتمام، ألقت جانيت نظراتها على إدوارد بكل تمعن، ذو شعره بني اللون وعيناه ذات لون اخضر و قد كان أطول

من جانيت بقليل، لم يتوقف إدوارد عن النظر إلى اللوحة أبداً، و أخيرا نطق و قال : إنها جميلة جداً.

ثم نظر إدوارد إلى جانيت و ابتسم : هل يمكنني أن أشتريها؟، يمكنك طلب أي ثمن تريدين سوف أعطيه لك مهما كان الثمن مرتفعاً لا تقلقي.

نظرت جانيت إليه باستغراب وبدأت تتخيل إدوارد على أنه فليكس، وهو يبتسم فمدت يديها و دفعت اللوحة إلى صدر إدورد لتهديها إليه ، ثم استدارت وأغلقت الباب بسرعة .. فتفاجأ إدوارد بفعل جانيت.

فدق إدوارد باب البيت وهو يقول : انتظري لحظة !! هل تقصدين أن آخذها بالمجان ؟ أنا لا أستطيع ، من الصعب عليك أن توفري الألوان، و أدوات الرسم بسبب وضعكم المادي صحيح؟..

بعد لحظات صمت قال إدوارد : أنا لن آخذها بالمجان سوف أقوم بوضع كل النقود التي أملكها الآن بجانب الباب..

كانت جانيت داخل البيت تجلس بالقرب من الباب و تسمع كلام إدوارد : سوف .. أحاول العودة غداً إذا استطعت، لذا أتمنى أن أستطيع التحدث معك يضع إدوارد كيسا صغيرا مليئا بالقطع النقدية الذهبية.

-حسنا، أنا ذاهب شكرا على اللوحة ، إنها أول لوحة تهدى إلي و أنا لن أرغب في أخذها بالمجان لأنها قد تكون عزيزة عليك لقد رسمت اللوحة بعناية خاصة .

نظر إدوارد إلى اللوحة مرة أخرى، كانت لسيدة ذات عيون خضراء و وجه رقيق مع شعرها الأحمر الطويل و فستانها ذي لون أخضر داكن، ثم قال لنفسه :

-شعرت أن المرأة التي في اللوحة مألوفة و ملامحها تبعث على الارتياح ، إن هذه اللوحة هي ما أحتاجه .. إنها أجمل لوحة رأيتها ..

ثم يستدير مغادراً المكان ، بعد دقائق تقف جانيت و هي في حيرة من أمرها و تضع يدها على صدرها و تشعر بقلبها وهو يخفق بشدة و من دون أن تفهم السبب لمست وجهها و كأنه إبريق شاي جاهز.

فتفتح الباب و تجد الكيس الذي كان به مبلغ كبير من المال فتتفاجأ لكثرة النقود فيه، لأنها لم تر هذا الكم الهائل من النقود في حياتها ، و لا تعلم ما يجب أن تفعل به، فتضعه فوق طاولة الطعام قرب المدخنة و تذهب للنوم.

حل المساء و انتهى والد جانيت من عمله في الحقل ، و في طريقه نظرت إليه جارته بنظرات مريبة. استغرب من فعلها و أبعد نظراته عنها فوجد ولدا من القريبة ينظر إليه أيضا بنظرات غريبة..

أحس والد جانيت أنه مراقب، و بقية أهل القرية يتحدثون عنه ، و يهمسون لبعضهم البعض من دون أن يسمع همسهم، كانوا يتساءلون عن هوية الفتى الوسيم ذي الملابس الأنيقة الذي كان واقفا قرب باب بيته، وصل إلى البيت في حالة من القلق و التوتر ، فوجد

الكيس الذي يحتوي على المال فوق الطاولة ، أحس بأن أنفاسه ستتوقف .. كانت ملامح الغضب و الهيجان في جميع أنحاء وجهه المخيف و سط تفكير و استنتاجات لا معنى لها ، و لم يحاول حتى أن يسمع تفسير جانيت..

ثم قال والد جانيت لنفسه : إن جانيت تسرق، نعم إن تلك الحقيرة مثل جدتها تماماً. لقد دخلت إلى منازل أهالي القرية بالسر و أخذت أموالهم، لقد اكتشفوا أمرها لهذا كانوا ينظرون إلي بتلك الطريقة، و قد أرادوا التحدث معي بهذا الشأن..

اتجه إلى غرفة جانيت و ضرب الباب بقوة ، وجد جانيت نائمة فصرخ: استيقظي أيتها الحقيرة، أنا لم أرغب في أن تكوني ابنة لي منذ البداية كانت تلك العجوز الشمطاء و زوجتي هما من أصرا على هذا.

إستيقظت جانيت كانت تفرك عينها، فغضب والدها وقام برمي كيس النقود عليها و صرخ : من أين لك بهذا؟

لم تجبه جانيت وبقيت تنظر إليه من دون أن تتحرك ملامح وجهها من الصدمة، شعرت بالخوف من تصرفات والدها، فصرخ مجددا و بكلام غير منطقي، ثم أسرع للمطبخ حمل عصا خشبية من دون وعي منه و ضرب بها جانيت بقوة من دون أن يتوقف عن الكلام.

توقف والد جانيت عن ضربها فجأه، تنهد ثم ألقى العصا على الأرض بقوة و بعد لحظات عاد إلى رشده، حمل جانيت ووضعها على السرير غادر الغرفة

ذرفت الكثير من الدموع، نزلت جانيت من السرير واستلقت على الأرض الخشبية الباردة و أغلقت عينيها المحمرتين بسبب البكاء المتواصل..

و بعد ذلك اليوم لم تخرج جانيت من غرفتها إلا نادرا لشرب المياه ثم تعود، كانت أغلب الأوقات تنام لتشاهد الأحلام السعيدة،

بعد أسبوعين و في منتصف النهار، توقفت عربة حصان بالقرب من بيت جانيت. وقد كانت جانيت تجلس على إيطار نافذتها وتنظر إلى العربة، نزل من العربة رجل غريب في الأربعين من عمره ذو جسم صغير مغطى بملابس سوداء، مع قبعته السوداء الطويلة و ملامح متعبة، دق باب البيت و خرج له والد جانيت، فيسأله الرجل عن اسم الفتاة..

-اسمها؟ هذا لا يهم يمكنك أن تناديها ما تريد إنها ليست ابنتي الحقيقية حتى!

بعد أن سمعت جانيت كلام والدها، ذهبت إلى غرفتها و وضعت بعضا من ملابسها في حقيبة و ارتدت قبعتها الصوفية و معطفها و خرجت

من المنزل في صمت، نظر الرجل إليها وسأل: تبدين لطيفة بهذه الملابس! هل أنت موافقة على مرافقتي الآن ؟

هزت جانيت رأسها بالإيجاب و أمسكت يده من دون أن تنظر إلى وجه والدها أبداً، فوضع ألبرت يده الأخرى في جيبه و أخرج كيسا من النقود و أعطاه إلى والد جانيت، ثم صعدا على العربة و انطلقت..

{2}

منزل مليء بالأمل

استمرت العربة في السير من الصباح حتى المساء و الجو يختنق من الصمت، ثم توقفت أمام نزل صغير مع غروب الشمس في إحدى القرى، أمسكت جانيت يده من دون أن تشعر و لم تتركها أبدا،

استأجر ألبرت غرفة للنوم ،كانت غرفة تحتوي على سريرين و نافذة و خزانة، توجها إلى المطعم الخاص بالنزل الذي كان شبه مظلم و تضيء بضع شموع المكان، كانا جالسين على طاولة خشبية مستديرة و يتناولان الطعام في صمت مخيف..

نظرت جانيت بعيونها الميتة إلى ألبرت، وهي تتساءل لماذا هو لطيف هكذا؟ كيف أستطيع أن أرد جميله هذا؟ ما طبيعة العمل الذي سأعمله؟ هل أستطيع الوثوق بأحد ما بعد أن فقدت أمي و تركت أبي؟ هل أستطيع الوثوق بالسيد ألبرت؟

في الصباح التالي ركبا العربة لإكمال الطريق، و قبل الوصول ببضع دقائق تحدث ألبرت مع جانيت بنبرة صوت حنون و عيون متعبة : أدعى ألبرت، ما اسمك؟

-جانيت..

-أنا أحرص دائما على بذل جهدي لجعل الخادمات عندي يعشن أفضل حال ، لهذا لا تترددي في الحديث معي أو طلب شيء مني..

-حاضر.

نظر ألبرت إليها و على وجهه أطنان من الاستياء على حالها، فتسلل إلى مخيلته صورة والدته التي كانت تضطر للعمل كخادمة، ويداها المتضررة حتى توفر له ما يحتاجه ليتعلم في المدرسة.

تدخل العربة المدينة، التي كانت مكتظة بالناس، و المحلات والسلع في كل مكان، الأطفال يلعبون و عربات أحصنة، بقيت تنظر هنا و هناك و تتذكر وصف فليكس للمدينة لقد كان عالما آخر تماما بالنسبة لجانيت،..

توقفت العربة أمام منزل ضخم جدا من أربعة طوابق كان ذا غرف كثيرة و نوافذ كبيرة، يخرج ألبرت من العربة و معه جانيت التي تحمل حقيبتها، وقفت أمام المنزل و رفعت راسها لتشاهده فوقعت قبعتها، بعد أن سمعت كلارا وهي المسؤولة عن الخادمات في المنزل توقف العربة خرجت لاستقبالها ..

نظرت كلارا إلى جانيت من أطراف أصابعها إلى خصلات شعرها، وهي تحمل قبعتها من على الأرض و ارتدتها، اقتربت كلارا من ألبرت بملامح مشمئزة كانت سيدة ببعض من التجاعيد الخفيفة على وجهها

الشاحب مثل قطعة القماش البيضاء التي تغطي رأسها .. كانت ترتدي فستانا اسودا طويلا ذا قماش بسيط ..

-أهلا بعودتك يا سيد ألبرت، إذا هذه هي الفتاة الجديدة ؟

-نعم، جانيت قدمي نفسك إلى الآنسة كلارا، ستكون المشرفة على تدريسك.

نظرت جانيت إلى كلارا، كانت ذات وجه متعب من السفر و من دون أن يتحرك لها جفن قالت بنبرة منخفضة : اسمي جانيت

نظرت كلارا إلى ألبرت و قالت بشيء من الاستهزاء : يبدو أن لدي كثيرا من العمل مع هذه الفتاة، لاسيما أنها أتت من قرية صغيرة، صحيح

أحس ألبرت بشيء من الانزعاج لكلام كلارا، دخلوا إلى المنزل و نظرت جانيت إلى القاعة الكبيرة و الدرج الذي في وسطها بدهشة ، وكأنه يوجد عالم كبير جدا وسط هذا المنزل، ابتسم ألبرت إلى جانيت وقال: سوف ترشدك كلارا إلى غرفتك في الأعلى يجب أن تستريحي من تعب السفر أولا..

هزت جانيت رأسها بالإيجاب، ثم نظر ألبرت إلى كلارا : عندما تنتهين من العمل تعالي إلى مكتبي أود التحدث معك..

صعدت كلارا الدرج و تبعتها جانيت، وصلتا أخيرا إلى غرفة فدخلتا الغرفة كان فيها سريران و خزانة ملابس و فتاة تستلقي على السرير:

ناومي هذا ليس يوم عملك لكن لمَ الكسل ؟..هذه هي شريكتك في الغرفة.

وقفت ناومي من على السرير و نظرت إلى جانيت التي كانت تقف خلف كلارا و قالت :أخبرتك أنني لا أحتاج شريكة في الغرفة، و لا حتى في العمل..

ردت عليها كلارا بنبرة حادة : طلبت رأيك؟ يجب أن تنسجمي معها، هيا اتركيها ترتاح، و علميها القواعد و كيفية العمل.

-حاضر

غادرت كلارا الغرفة و بقيت جانيت واقفة في مكانها، اقتربت منها ناومي و أشارت إلى السرير الآخر: هذا سريرك و يمكنك وضع ملابسك في الخزانة هناك و ستجدين فيها الملابس المخصصة للعمل أيضا ،

ثم نظرت جانيت إلى ناومي وقالت : شكراً لك

شرعت جانيت في ترتب ملابسها في الخزانة و ترتيب سريرها، انتهت و جلست على السرير ثم جلست ناومي بجانبها و نظرت إليها بكل حزم : لماذا لا تقولين شيئا؟ هل أبدو لك شخصا عاديا؟

كانت ناومي بشعرها الكستنائي الفاتح القصير و بعينين باللون البنفسجي و هناك بقعة من بشرتها باللون البني الداكن على نصف وجهها الأيسر..

ابتسمت جانيت : تشرفت بمعرفتك.

تعجبت ناومي من رد فعل جانيت و نظرت إلى الأسفل : حسنا..

بعد لحظات صمت تكلمت ناومي : هذا غريب لما كنت منفعلة. انا دائما كلما أصبحت لدي شريكة في الغرفة أرى في عينيها نظرة اشمئزاز و سخرية، و تبدأ بإزعاجي و الضحك من شكلي ، لهذا أتشاجر معها و يتم نقلها من غرفتي..

رفعت جانيت قبعتها فسقط شعرها الأحمر على كتفيها، اندهشت ناومي من لونه كأن آلاف الورود الحمراء اجتمعت على رأسها .. نظرت جانيت إلى الأرض و بنبرة هادئة تحدثت :

لا يجب الحديث على شكل أحدهم مهما كان .. فلا أحد يستطيع اختيار لون بشرته أو شكل أنفه ،

في الصباح التالي اقترحت ناومي أن تأخذ جانيت في جولة بالمنزل و تعرفها على المكان .. بعدها تناولت جانيت وجبة في المطبخ و جلست ناومي تتحدث لها عن قواعد هذا المنزل الخاص بالسيد ألبرت تعيش فيه عشرون فتاة تقريبا في مثل عمر جانيت و ناومي ..

يتم التخلص من فتيات الميتم الذين لم يتم تبنيهم عندما يصلن إلى سن الخامسة عشرة، يتعلمن الطبخ و التنظيف و الاعتناء بالمرضى حتى يحصلن على عمل كممرضات في المستشفى أو كخادمة في إحدى المنازل..

يتم شراؤهن من قبل السيد ألبرت أو جلبهن من الميتم، وحدثت ناومي لجانيت عن أنها كانت في ميتم، و يتم معاملتها بطريقة سيئة بسبب وجهها، و قد حصلت على بعض من الراحة و الحرية في هذا المنزل .. و للعيش في منزل ألبرت هناك مناوبات كل يوم هناك شخصان يقومان بإعداد الطعام و شخصان من أجل التنظيف و أن ناومي و جانيت سيعملان معا.

رحبت بقية الفتيات بجانيت في وقت طعام الغداء فلقد اجتمع الجميع في غرفة مخصصة لتناول الطعام بطاولة كبيرة و كثير من الكراسي، و همس بعضهن البعض عن جانيت .. أحس ألبرت أن جانيت متوترة و صامته نظر إليها وابتسم : أرجو من الجميع معاملة جانيت بطريقة مهذبة و اعتبارها جزءا من العائلة بدءا من هذه اللحظة .. هذا صحيح يا آنسة كلارا

-نعم ، سوف تبدأ جانيت دروسها تحت إشرافي من يوم الغد

-جانيت و ناومي ، يمكنكما الخروج بعد الغداء في جولة بالمدينة لكن لا تبتعدا كثيرا، أريد من جانيت أن تشاهد الأجواء هنا

بعد تناول الغداء ، خرجت جانيت و ناومي و أخفت جانيت شعرها تحت القبعة كالعادة كانتا تسيران و تحدثت ناومي بكل حرية عن ما تحب و تريد فعله .. استمرت جانيت بالاستماع و الابتسام حتى وصلتا إلى حديقة وسط المدينة..نظرت إليها جانيت باشتياق و حنان : لقد

دخلت إلى هذه الحديقة عندما كنت صغيرة ، و قد كانت معي سيدة جميلة جدا..

-هذا مستحيل. ألم تأتي من قرية لاريسا، و عشت هناك طفولتك؟

-ذاكرتي ليست جيدة عن الطفولة ، و لقد سمعت بأنني انتقلت فجأة للقرية في عمر خمس سنوات.

هبت نسمة ممزوجة برائحة الورود، وقفتا أمام البوابة الضخمة و المزخرفة، كانت بتلات الورود البيضاء تتدلى منها كالثلج، لكن اقترب منهما حارس الحديقة الطويل و الذي كان يرتدي ملابس الحرس الملكي، نظر إليهما، و قال بنبرة قاسية اذهبا من هذا المكان بسرعة.

صرخت ناومي عليه: نعم سوف نغادر، لا تبدأ بالصراخ علينا..

-هل تريدان أن أطردكما بالقوة؟

و فجأة يسمعان صوتا قادما من خلف الحارس يقول :انتظر لحظة يا سيدي.

اقتربت منهما فتاة بمثل عمرهما تماما، لكن بفستان فاخر احمر مع قفازات سوداء و عيناها الزرقاء تشع ثقة و غرورا و بشعرها الأصفر، و سألت :ماذا تفعلان هنا؟، هذه حديقة خاصة بالعائلة الملكية و الطبقة النبيلة فقط.

بقيت جانيت تتأمل بوابة الحديقة ، انحنت ناومي و رفعت طرف فستانها بلطف و قالت : لم نكن نقصد التسلل نحن نعمل لدى منزل السيد ألبرت ، كنت آخذ صديقة لي في جولة بالمدينة ..أدعى ناومي، و هذه شريكتي في الغرفة جانيت..

-هكذا اذا و أنا إيلين بروني، و الملكة تكون عمتي، و أنا خطيبة لولي العهد، بما أنني سوف أصبح الملكة القادمة لمملكة أوديلا يجب أن أختار خادمة تليق بي، أظن أنني في يوم ما سوف أزور منزلكم..

غادرت إيلين متجهة نحو عربتها التي كانت في انتظارها .. أمسكت ناومي يد جانيت و قالت : هذا رائع ، أتمنى لو يتم اختياري من قبل الآنسة ايلين، سوف اعيش في القصر الملكي ، و اكون قريبة من الملكة نفسها..

-جيد ، أتمنى لك هذا.

عادت إيلين إلى القصر الملكي، قصر أقل ما يمكن القول عنه أنه عالم آخر بسبب تصميمه المعماري المعقد و الزخارف المنتشرة على الجدران و تلك القلاع الصغيرة على جانبيه ، لدى القصر غرف كثيرة من قاعات استقبال و طعام و مكتبات و قاعات مخصصة للاجتماعات ، ومجموعة كبيرة من الخدم و الحراس و بجانب القصر منزل منفصل عنه مخصص للخدم و بالجانب الآخر إصطبل للخيول، و مكان العربات، و حديقة خلفية كبيرة جدا .. و يحيط بالقصر جدار عال جدا زخرفت عليه الطبيعة بأوراق الشجيرات المعلقه عليه..

كان إدوارد في غرفته التي اتسعت لمنزل كامل من منازل الريف، ذات نوافذ كبيرة ذات ستائر مزينة بلمسات من الدانتيل الشفاف الهادئة، مع أثاث فاخر و سجاد أنيق، واقف بجانب اللوحة المعلقة فوق المدفئة، اللوحة التي اشتراها من جانيت ينظر إليها و يلمس التوقيع المكتوب بالأسفل كان مكتوبا "جان" بدل "جانيت"، ظنا منه بأنها لم تتعلم الكتابة جيدا

تنهد إدوارد : لقد مر وقت طويل منذ أن رأيت جانيت آخر مرة

دخلت إيلين غرفة إدوارد فجأة : إدوارد أنت هنا إذا..

لم يشح إدوارد بنظره عن اللوحة : ماذا هناك؟ ألم أخبرك عدت مرات أن تستأذني قبل الدخول إلى غرفتي

تقترب إيلين من إدوارد و تبتسم: كنت في عجلة من أمري فحسب، لدي فكرة لمَ لا تذهب معي لكي أختار خادمتي المستقبلية ، هناك الكثير من المنازل التي تعلم الفتيات الطبخ و التنظيف و الكثير من الأشغال الأخرى..

-في وقت لاحق، أنا لست متفرغا الآن

ثم غادر الغرفة على عجلة، انزعجت إيلين من تصرفه و اقتربت من اللوحة، و تمتمت : لون شعرها مقرف جدا، لماذا إدوارد مهووس بهذه اللوحة كثيرا؟

في اليوم التالي بدأت دروس الآنسة كلارا، لم تتعلم جانيت الطبخ جيدا رغم محاولات عديدة كانت رائحة التوابل و طعها صعب التفريق بينها، و في درس الآداب كانت جانيت تواجه صعوبة في الكلام بسلاسة، استمرت كلارا في توبيخ جانيت لأنها اعتقدت أن جانيت لا تأخذ الدروس على محمل الجد..

بعد أسبوعين عرف ألبرت أن طريقة كلارا قاسية مع جانيت، وأنها لا تتحسن أبدا، و لا تستمع للكلام ، فتحدث ألبرت مع جانيت في مكتبه و قد بدا على ألبرت القلق على جانيت، وقال : يجب أن تتبعي التعليمات جيدا، حتى تعلمك الآنسة كلارا آداب الطعام ،و التحدث إلى من هم أكبر منك..

نظرت جانيت إلى الأرض و تحدثت بصعوبة كأن شيئا عالق في حلقها من كثرة القلق : أنا أبذل جهدي،

تنهد ألبرت و بدأ يسأل جانيت عن مشاكلها أو همومها أو أي شيء يشغل بالها، لكنها لم تجب و بقيت صامته ، بعد أيام و جانيت على نفس الحال سئمت الآنسة كلارا من عدم سماعها الكلام و عاقبتها في أثناء عدم تواجد السيد ألبرت في المنزل، أجبرتها على أعمال تنظيف إضافية ..

في ذلك اليوم كان على جانيت تنظيف الدرج فقدمت لها أحد فتيات المنزل دلوا يحتوي على ماء و منشفة ، حينها أدخلت جانيت يديها في ماء الدلو حتى تخرج المنشفة و تنظف الدرج، أحست أن يديها

تحترقان جدا بسبب احتواء الماء على كمية كبيرة من الكلور ،تألمت جانيت بسبب الحرق، و سمعت صوت فتاة تضحك و همست قائلة : إنها فاشلة.

أحست جانيت وكأن رائحة الكلور تجمعت في حلقها مسببة لها الاختناق، و بدأت تسعل بشدة، و من الألم نزلت دموعها حتى هدأت بعد لحظات ، وقفت من مكانها و حملت الدلو رغم ألم يديها و غيرت الماء كأن شيئا لم يكن، و بقيت تكرر جملة واحدة في دماغها : لابأس، أنا لم أتوقع معاملة أفضل من هذه لهذا لابأس أنا بخير..

و في صباح الغد كلفت كلارا جانيت و ناومي بشراء أغراض من السوق، أعطتهم كيسا من النقود و ذهبتا، و في طريقهما حملت ناومي كيس النقود و ناومي السلة ،

ركض ولد باتجاههم و دفع ناومي أرضا، و أخذ كيس النقود و ركض بسرعة هارباً، لكن لحقته جانيت بسرعة فسقطت منها قبعتها، فأسرعت حملت القبعة و وضعتها في جيب معطفها و استمرت بالركض..

بدأ المطر ينزل بغزارة فانزلقت إحدى عجلات عربة، و عند قطع الولد الشارع توقف لحظة خوفا من اصطدامه بالعربة، حاول سائق العربة أن يتجنبه، لكن انقلبت العربة، سمع الولد جانيت تصرخ عليه من الخلف، فهرب بسرعة و استمر في الركض دخل شارعا ضيقا ، قطعت

جانيت الشارع و خرج إدوارد من العربة و لمح ظهر فتاة ذات شعر احمر تركض و تصرخ..

-توقف مكانك أيها اللص.

حاول إدوارد الوقوف من على العربة المقلوبة، لكن تعثر وسقط و قال في نفسه : لابد أنني أتوهم لأنني أفكر في جانيت كثيرا.

كان هناك شرطي سأل عن حال ركاب العربة ، فصاح إدوارد أن يذهب بسرعة خلف اللص، و أشار له عن الطريق الذي اتجهه ، ركض الشرطي و بدأ يصفر بصفارته ، في ذلك الحين وصل الولد إلى طريق مسدود و توقفت جانيت أمامه..

-توقف أرجوك وأعد المال حالا ، وإلا سوف أعاقب أنا و صديقتي.

نظر الولد إلى جانيت و قد ابتلت تماما بسبب المطر، و قد كانت تأخذ أنفاسها بصعوبة ، أحس بالندم فرمى الكيس على الأرض و تسلق الجدار بعد سماعه لصفارة الشرطي، اقترب الشرطي من جانيت : هل انت بخير؟ أين هو اللص؟

عادت جانيت لمكان ناومي، و أسرعتا لشراء ما طلبته الآنسة كلارا و عادتا إلى المنزل، في المساء بدأت حرارة جانيت بالارتفاع فمرضت جانيت بالحمى و استقلت في غرفتها حتى تتعافى، في ذلك اليوم وصل إليهم خبر بأن ولي العهد و خطيبته سيأتيان إلى المنزل لتختار خطيبته خادمتها من المنزل..

اجتمعت جميع الخادمات لتعطيهم كلارا التعليمات ماعدا جانيت كانت مريضة بالحمى ، نظرت كلارا بحزم و قالت بصوت عال : السيد ألبرت ليس موجودا، لهذا يقع تحت مسؤوليتي هذه الفرصة حتى يصبح المنزل معروفاً بين النبلاء و لهذا لا أريد اي خطأ، يجب تنظيف المنزل كله بإتقان و ترتيب كل شيء جيدا..

و في اليوم التالي ينزل إدوارد و إيلين من العربة و يدخلان منزل ألبرت ، تأخذهما كلارا إلى غرفة الاستقبال فيجلسان على الأريكة فتفتح كلارا الباب الآخر للغرفة فتدخل الخادمات فيلقين التحية على إدوارد و إيلين و يذكرن أسماءهن، و منهن ناومي، و تقترب منهم إيلين و تنظر إليهن..

-آنستي،لدينا أفضل الخادمات هنا، لقد أشرفت على تعليمهن بنفسي.

- نعم، هذا واضح جدا.

تمشي إيلين و تتفقد كل واحدة منهن، فتتوقف أمام ناومي تتذكر إيلين وجهها و تختارها، تعود جميع الفتيات إلى غرفهن و تبقى ناومي، تقترب منها إيلين و تلمس خدها و تبتسم: إذا اسمك ناومي، انا أتذكرك و أتذكر وجهك جيدا

تنحني ناومي بأدب : هذا شرف لي يا آنستي..

بعد لحظات قالت كلارا : تعاليا معي إلى الحديقة جهزتها خصيصا لكما، و سوف تعد لكما إيلين بعض من الشاي..

تتقدم كلارا إلى الباب : تفضلا معي..

فيتبعانها إدوارد و إيلين و تتجه ناومي للمطبخ، و في تلك الأثناء تسمع جانيت من نافذة غرفتها صوتا مألوفا، و قد كان صوت إدوارد ، فتقف بصعوبة من السرير تريد رؤيته لكن الحمى لا تسمح لها بالوقوف على قدميها..تم تحديد موعد بدأ عمل ناومي خادمة لدى إيلين ثم غادرا..

انتهت ناومي من عملها و ذهبت لتطمئن على جانيت و لتخبرها بالخبر السعيد، فتجدها فاقدة الوعي على الأرض، تسرع لمساعدتها و تعيدها إلى السرير و تعتذر لأنها سبب مرضها،

بعد أيام وقف إدوارد في غرفته كالعادة وهو ينظر إلى اللوحة العتيقة التي يكاد يقدسها، قرر أن يزور منزل جانيت لأنه أراد رؤيتها، انطلق إدوارد مع دافين إلى قرية لاريسا و ارتدى ملابس عادية كان قد استعارها، حتى لا ينظر إليه سكان المنطقة و يجذب الأنظار، ترك دافين على طرف الغابة و راح يتجول و يتذكر وجه جانيت، ثم ذهب إلى منزلها..

استجمع شجاعته و طرق الباب خرجت له سيدة غريبة: من انت؟

تسمر إدوارد في مكانه و قال لنفسه : هي لا تشبه جانيت أبدا هل هي والدتها؟

-أتيت للبحث عن جانيت، هل هي في البيت؟

-من هي جانيت ؟ أنا لا اعرفها.

ثم غادر إدوارد وهو منصدم، كأنه كان في حلم و استيقظ منه، ثم عاد للقصر و لديه شيء من الغضب دخل مباشرة إلى مقر التدريب على الرماية ، حمل القوس و السهم و يداه تراجفان، و فجأة تسلل لمخيلته ذكرى من الماضي نظر إلى الأرض و إذ ببقعة من الدماء تلون المكان..

بعد لحظات أخذ نفسا عميقا، و بدأ يتخبط في حديثه مع نفسه و ينظر إلى يديه : هل جننت ؟ أنا لست مستعداً بعد حتى ألتقي بجانيت .. لا يحق لي أن اراها حتى، أن يداي ملطختان بالدماء وكأن جانيت سوف تحبني و تتحدث معي بعد أن تعرف بأنني مجرم..

قاطع تسلسل أفكاره السوداء صوت دافين : إدوارد ، هل تريد مني أن أبحث عن...

قاطعه إدوارد وهو يصرخ : اتركني لوحدي ، لست في مزاج للحديث عن أي شيء، انس بأنني ذهبت إلى القرية..

انسحب دافين بهدوء من المكان، بقي إدوارد يحاول أن يصوب على الهدف الذي كان على الشجرة التي تبعد عنه أمتارا، لكن يديه ترتجفان و أحس أن الهدف غير ثابت. فرمى القوس و السهم أرضا..

بعد شهر بدأت جانيت تبلي حسنا في أعمال التنظيف و الطبخ، فطلبت منها كلارا أن تقوم بتنظيف العلية لأن بقية الخادمات لديهن أعمال في المستشفى، صعدت جانيت العلية عن طريق الدرج الخشبي الذي اصدر صوتا مزعجا، و فتحت النافذة ليدخل نور الشمس،

كان الغبار كثيفا يغطي كل شيء في العلية مع خزانات مليئة بالأشياء، لكن أول ما لفت انتباهها المسند الخشبي الخاص بلوحات الرسم، مسحت عنه الغبار بحماس و بدأت ترتيب العلية و تنظيفها، و عثرت على لوحة داخل الخزانة مع بعض من الألوان و الفُرش.

جلست جانيت بجانب النافذة و كانت اللوحة مثبتة على المسند الخشبي، و ضوء الشمس يدخل بهدوء.. أمسكت فرشاة الرسم و أحست أنها تتنفس من جديد، فجأة تظهر أمامها مباشرة المرأة ذات الشعر الأحمر، وكأنها كانت في انتظارها و تبتسم بكل رقة و قد كانت ملامحها واضحة جدا أكثر من أي وقت مضى..

شعرت جانيت بحرية و هي ترسم على تلك اللوحة ، رسمت بسرعة غير معتادة، لكنها فجأة شعرت ببعض من الألم في يدها بسبب الحريق الذي سببه الكلور ، لكنها استمرت في الرسم رغم الألم .. كانت رائحة الألوان كالعطر بالنسبة لها ،

بعد أن انتهت جانيت من الرسم كان المساء قد حل و صعدت الآنسة كلارا العلية، دخلت كلارا عليها و أعجبت بتنظيف جانيت العلية ، لكن

اقتربت منها و رأت بأنها جالسة أمام لوحة .. و رأت أن جانيت تكتب توقيعها "جان" بدل جانيت ،

سألت كلارا بكل برود : هل أنتهيت؟

-نعم

صفعت كلارا جانيت بقوة على وجهها حتى سقطت على الأرض، بعد لحظات صمت و كلارا تنظر إلى اللوحة : ماذا تعتقدين بأنكي فاعلة ؟ هاه؟ هذه أغراض ابن السيد ألبرت الذي توفي منذ عام.. لا يحق لك لمس أغراض غيرك..

تحاول جانيت الكلام لكن تقاطعها كلارا بصوت حازم : ألم اعلمك أن من آداب الخادمة أن تطلب الإذن قبل أن تأخذ نفسا؟ سوف تتلقين العقاب المناسب لفعلتك هذه ، انت لا تعلمين العقاب الذي يواجه الخادمات في القصور إذا ما فعلن ولو خطأ بسيطا.

أمسكت كلارا جانيت بقوة من معصمها و سحبتها إلى غرفة للعقاب اعتادت كلارا عقاب الفتيات بحبسهن هناك ،رمت جانيت هناك و أغلقت الباب.. نظرت جانيت في أرجاء الغرفة التي لم تحتو على نافذة حتى،

كانت غرفة فارغة تماما ، عادت كلارا إلى العلية و حملت اللوحة إلى مكتب السيد ألبرت و أسندتها إلى كرسي في المكتب..

في تلك الليلة بقيت جانيت في غرفة العقاب وحيدة من دون طعام، فشعرت ناومي بالقلق عليها لأنها لم تأكل، و لم تأت لغرفتها في الليل ، توسلت لكلارا بأن تعطي لجانيت القليل من الطعام لكنها رفضت، و قالت إن السيد ألبرت سينظر في شأنها غدا صباحا عندما يأتي..

في اليوم التالي عاد ألبرت إلى المنزل ليتفقد أوراقا في المكتب ، فدخل إلى مكتبه و تفاجأ، اقترب من اللوحة في ذهول تام كأن المرأة ذات الشعر الأحمر، جلس على كرسي مقابل اللوحة و بقي يتأملها، و يفكر و يتأمل كأنه يحل معادلة رياضية حتى دخلت الآنسة كلارا المكتب وقالت : صباح الخير يا..

قاطعها ألبرت في حيرة: هل تغير شيء في المكتب أم أن هذا سحر اللوحة..

-أتيت لأحدثك عنها، أن جانيت من رسمتها.

نظر إليها و قال في حيرة : جانيت ؟ أين هي ؟

قالت كلارا بكل ثقة : لقد عاقبتها العقاب المناسب، لقد حبستها في إحدى الغرف حتى تتعلم أن تطلب الإذن قبل استعمال..

ضرب ألبرت مكتبه الخشبي بقوة حتى تحركت الزينة التي فوقه من قوة الضربة قاطعاً كلامها في حالة من الغضب صارخا :اخبرتك من قبل أن تتوقفي عن مثل هذه التصرفات ، ألا تشفقين ؟ صحيح انك تلقيت

معاملة قاسية في صغرك لكن لا يحق لك معاملة الفتيات هكذا في منزلي، لقد وعدت نفسي أن أقوم بتأمين حياة أفضل لجميع الفتيات..

-أقدر كلامك هذا سيدي ، لكن جانيت لا تتعلم الآداب أبدا، و لن تستطيع أن تصبح خادمة على هذا النحو ،أنا أفعل كل هذا من أجل مصلحتها.

وقف ألبرت من مكانه و اتجه نحو النافذة ألقى نظرة و قد كان هناك الخادمات في الحديقة الخلفية للمنزل يسقين الازهار و يعتنين بالحديقة ، و بعد تفكير عميق قال بحزم:

-جانيت لن تعمل في هذا المنزل مرة أخرى

تفاجأت كلارا : هل تعني بأنك ستقوم بطرد جانيت من المنزل؟

-اجلبيها إلى هنا أولا

أخذت كلارا جانيت من غرفة العقاب إلى مكتب السيد ألبرت و أدخلتها و خرجت من المكتب، و أغلقت الباب خلفها وصلت ناومي لمكتب السيد ألبرت، و سألت كلارا و الخوف يتملكها:

- هل صحيح أن جانيت سوف تطرد ؟ ، أنا لن أقبل بهذا مستحيل أن يفعل السيد ألبرت هذا أنه يحبنا و يعتني بنا ، ماهو السبب الذي قد يدفعه لطرد جانيت ؟ حتى أنني سألتك بالأمس عن سبب عقابك لجانيت و لم تخبريني بأي شيء

-اخرسي ، أن جانيت لم تحترم مشاعر السيد ألبرت، و ماضيه و أخذت أغراضه من دون إذن، ألبرت هو من يقرر إذا كان سيطردها أم لا.

كان ألبرت واقفا ينظر عبر النافذة، فطلب من جانيت أن تجلس ، أحست جانيت مجددا بشيء عالق في حلقها وضعت يدها على رقبتها بقلق شديد ، كانت خائفة من أنها لن تستطيع الحديث بطريقة جيدة، أن العيش طويلا وسط قيود من الماضي جعلها خائفة من التغيير ، فجلست جانيت و أغلقت عينيها، و قالت بتردد:

-انا آسفة لأنني استعملت أدواتك من دون طلب إذن يا سيدي ، لم أستطع منع نفسي، إن جسدي تحرك بمفرده.

استمر ألبرت في النظر من النافذة و سأل : هل تريدين أن تستمري في الرسم ؟

لمعت عينا جانيت و أجابت بسرعة من دون أن تفكر أحست بأنها لم تعد خائفة من الحديث : نعم أريد

استدار ألبرت و ابتسم : إذا لك هذا يا صغيرتي ،لمَ لم تخبريني من قبل؟ وددت لو سمعت هذا منك من قبل.

أنزلت جانيت رأسها و نظرت للأسفل ، يقترب منها ألبرت و يضع يده على رأسها ، فتغمرها مشاعر الطمأنينة و الهدوء، فقال لها: سوف نعقد صفقة، سوف يستفيد منها كلانا اتفقنا؟

في تلك الليلة بعد طعام العشاء بدأت الفتيات يهمسن عن سبب قرار طرد جانيت، حاولت كلارا بهدوء أن توقفهن، فلم يسمعن لها تعجب ألبرت من الموقف..فقالت إحدى الفتيات : سيدي ماذا فعلت جانيت حتى قررت أن تقوم بطردها؟

أجاب ألبرت وهو مندهش : أنا لن أقوم بطردها ، من أين سمعتن هذا الكلام؟

-سمعنا أن جانيت لن تعمل في المنزل مرة أخرى

-حسنا ، لقد اتضح أن جانيت موهوبة في الرسم ، و هكذا هي لن تضطر إلى العمل كخادمة بعد الآن.

كانت كلارا منزعجة من كلام ألبرت و هي تنظر إلى جانيت ،و بقيت الخادمات مستغربات ، أما ناومي أمسكت بيد جانيت و ابتسمت لها.

بعد ذلك ذهبت الفتيات لغرفهن للنوم و تحدثت كلارا مع ألبرت في مكتبه تتساءل مستغربة عن جنون ما سيفعله ألبرت لأن الرسم مهنة لرجال، و هذا القرار لن يساعد جانيت لأن الفتاة مصيرها أما العمل خادمة، أو تتزوج برجل لديه المال حتى تعيش حياة أفضل، بقي ألبرت هادئا وهو يستمع لمحاضرة طويلة من الآنسة كلارا و في النهاية ابتسم و قال :

-أنا أؤمن بأن جانيت فتاة قوية رغم ما يوحي المظهر الخارجي، أنها تملك بريقا في عينيها، و أنا أحب ذلك البريق.

في اليوم التالي غادرت ناومي المنزل و ودعت جانيت بحزن على فراقها، أحست ناومي كأنها سوف تترك ابنتها الصغيرة وحيدة و ترحل ، و جدت ناومي عربة في انتظارها أمام الباب ركبتها و انتقلت للقصر، استقبلها كبير خدم القصر، و في طريقهما إلى منزل الخدم ، صادفهما فليكس الذي كان يعمل في القصر ، فحمل عنها حقيبتها و رحب بها كثيراً، ثم اتجهوا إلى منزل الخدم و غادر فليكس لعمله ، وضعت ناومي حقيبتها في غرفتها و ارتدت الملابس المخصصة للخدم هناك ، ثم أخذها كبير الخدم في جولة للقصر .. بعد ذلك أخذها إلى غرفة الآنسة إيلين حسب طلبها، دخلت الغرفة في حماس و فرح.

كانت إيلين متكئة على الأريكة مثل ملاك هادئ بالملابس المخصصة للنوم ذات اللون الأبيض التي زادتها هدوءا و شعرها الأشقر الغير مسرح، ثم نظرت إليها إيلين وقالت: اقتربي أيتها الفتاة.

اقتربت ناومي و هي في حيرة من أمرها ، وقفت إيلين التي كانت تبدو أطول من ناومي بسبب كعب حذائها و أمسكت وجه ناومي كحبل المشنقة ، تحدثت وهي تنظر في عينيها بحدة كنظرات الافعى وقالت:

-أنت الآن عبدة لي ، يستحيل أن أطلب طلبا منك و لا تنفذينه ، و إلا حبل المشنقة ينتظرك، و لكن إذا ما فعلت كل ما أطلبه منك سوف تحصلين على كل ما تريدينه ،

انصدمت ناومي بالكلام الذي سمعته و أحست بالتصلب في جميع أنحاء جسدها، تركت إيلين وجه ناومي و اتجهت نحو النافذة و جلست

على حافتها و فتحت ذراعيها قائلة : تخيلي أنك سوف تحصلين على ما حلمت به من قبل مهما كان، و أنا أحققه لك، شرط أن تكوني مخلصة لي مهما حدث و الآن هيا قومي بتجهيز ملابسي و رتبي شعري.

انحنت ناومي لها، و قالت : حاضر

بعد ذلك طلبت منها إيلين أن تحضر شاي البابونج من المطبخ لابد أن العاملة هناك قد انتهت من إعداده، فذهبت ناومي للمطبخ و هي شاردة الذهن, أخذت الشاي لغرفة إيلين، كانت ناومي واقفة بهدوء و ثبات في غرفة إيلين ، فأمرتها أن تجهز الحديقة لأنها ستجلس هناك ، نزلت ناومي بسرعة إلى الحديقة في حالة من الفوضى في داخل رأسها و هي تفكر ، دخلت حديقة القصر و هي تحمل منشفة ، بدأت تمسح كرسي الحديقة ، و فجأة جلست على الأرض و بدأت تبكي و تتحدث:

-لا يمكنني العودة للمنزل، سوف تنتشر إشاعات بأنهم طردوني و هذا سيأثر هذا على السيد ألبرت الذي عاملني بلطف ، يجب أن اقاوم.

بعد لحظات يقاطعها فليكس : هل هناك مشكلة ما؟

مسحت ناومي دموعها بسرعة، و وقفت من مكانها : لا شيئ..

-كان هذا متوقعاً ، آسف لأنني لم أحذرك ، أن الآنسة إيلين تملك شخصية فضيعة، و الكل هنا يعلم ذلك.

نظرت إليه ناومي بملامح متصلبة : حتى لو أخبرتني من قبل، لن يتغير شيء..

في ذلك اليوم أخذ ألبرت لوحة جانيت ليحدد سعرها فأعجب الكثير من الرسامين بلوحة جانيت، فلم يفصح ألبرت عن هوية من رسمها ، كان فقط يقول أن الرسام اسمه جان وهو أحد من معارفه ، اقترح عليه أحد الرسامين المعروفين أن يعرض اللوحة في مزاد حتى يعرف قيمتها الحقيقية ،

بعد أيام مع مجهودات ألبرت عثر أخيرا على مزاد حتى يعرض لوحة جانيت هناك ، أراد الجميع الحصول عليها فدفع أحدهم مقابل اللوحة الكثير من المال، كانت إيلين و شقيقها في المزاد و لاحظت ان اللوحة شبه لوحة إدوارد الموجودة في غرفته ،حتى ان التوقيع نفسه على اللوحة ..

عاد ألبرت للمنزل ونادى على جانيت، جلس على كرسي مكتبه و جلست جانيت أمام المكتب، أخذ السيد ألبرت من ثمن اللوحة الثمن الذي دفعه لوالد جانيت ، ظهر على جانيت علامة القبول و استطاع ألبرت شراء بعض من معدات الرسم الجديدة لجانيت، فسألها بكل حماس: لقد تأكدت لديك الفرصة لتصبحي رسامة معروفة و تعيشي حياة أفضل من أن تصبحي خادمة، ما رأيك في العمل بورشة لرسم يا جانيت ؟

بدا على جانيت ملامح جديدة عليها لقد كان شعورا بالأمان.. بعد ذلك ضللت جانيت ترسم في منزل السيد ألبرت، و بحث لها عن ورشة، لكن بعد البحث لمدة أسبوع لم يعثر على ورشة تقبل الفتيات، حتى أن البعض قال له : أنت تضيع وقتك فحسب من المستحيل أن تجد ورشة تقبل الفتيات..

دخل مكتبه وبدا له المكتب موحشا تماما ، حتى جلس على كرسيه خلف المكتب، و وجد لوحة معلقة في الجدار أمامه مباشرة ، كانت اللوحة لحديقة المنزل و الخادمات يعتنين بالأزهار هناك بملابس العمل السوداء و البيضاء و تعلو على وجوههن البهجة..

فاضت عينا ألبرت دموعا، أحس بالسكون في صدره كأن اللوحة تخاطب قلبه الرقيق، ثم ابتسم و قرر البحث من جديد،

في الصباح التالي عثر على ورشة للرسم كانت ورشة غير معروفة أبدا، طرق ألبرت الباب و بعد محاولات كثيره و أخيرا فُتح الباب ، خرج رجل في الأربعين من عمره مع هالات سوداء تحت عينيه، بشعره الأسود الكثيف، و عينيه المظلمتين و قد كان يملك ندبة بالسكين على مرفقه..

ألبرت مع نفسه : هل سأترك صغيرتي جانيت عند هذا الشخص المريب ؟

شعر أدريان بالانزعاج لأن ألبرت جعله يستيقظ من النوم : تحدث، ما الموضوع المهم الذي استيقظت بسببه ؟

ألبرت وهو متردد و يقول في نفسه لا تحكم على الكتاب من غلافه ، ربما كان شخصا طيبا : هناك فتاة موهوبة في الرسم و تريد أن تنضم إلى ورشتك..

ابتسم أدريان : حسنا أنا موافق ، لكن .. مهلا لحظة، أقلت فتاة أم أنني لازلت أحلم ؟

-نعم إنها فتاة ، ولم يوافق أحد على تعليمها أساسيات الرسم و جعلها جزءا من المتدربين عنده

-هممممم، شيء بديهي أن لا يوافق أحد على انضمام فتاة إلى ورشته ، لكن لا بأس أنا موافق.

شعر ألبرت بغبطة كبيرة لموافقة أدريان ، لأن جانيت سوف تسعد بهذا الخبر، ثم تحدثا عن الشروط التي يجب على جانيت اتباعها ،و اتفقا على الأمور المالية، كان كلا الطرفين راضياً على العقد، و بدا على أدريان نوع من الارتياح، فقول أدريان إلى نفسه : لقد بدأت أشعر بالوحدة بمفردي في الورشة.

-إذا متى يمكنها أن تبدأ العمل ؟

-يمكنك أن تأتي بها في الغد.

في تلك الليلة عادت ناومي لمنزل السيد ألبرت، للزيارة فقط و سمعت خبرا بأن جانيت سوف تبدأ الذهاب إلى ورشة للرسم فرحت كثيرا من أجل جانيت ، و تحدثت عن ما حدث معها في القصر.

-أتعلمين أن ولي العهد شخص عصبي جدا، دائما كلما تدخل إيلين إلى غرفته يبدأ الصراخ بعصبية على الخدم، أو عليها و لا يسمح لأحد من الخدم بالدخول إلا مرة في الأسبوع من أجل التنظيف، تدخل فقط كبيرة الخدم إليها، إنه شخص غير مسؤول و غير ناضج.

ابتسمت جانيت و هي تتذكر إدوارد : لكن ليس جميع النبلاء هكذا..

-من أين لك بهذا الكلام؟ أنت لم تلتقي بأحدهم من قبل، لابد انك مخدوعة بكلام أحدهم عن النبلاء.

ضحكت جانيت و احمر وجهها : أنا أعتقد هذا فحسب.

-هممم هكذا إذا، حسنا دعينا من النبلاء و من الحديث عنهم، لقد أصبح لدي صديق في القصر,

-هذا رائع.

-لقد ساعدني في نقل حقائبي للمنزل الخاص بالخدم ، و قد كان لطيفا معي.

-أعتقد بأنكم سوف تصبحون أصدقاء فعلا ، لكن هل ستنسين أمري؟

ضحكت ناومي بالصوت : هل تشعرين بالغيرة؟ لا، لن أنساك أبدا،

ابتسمت جانيت : أتمنى أن نبقى هكذا للأبد..

-لا، لا هذا مستحيل يجب أن ننام الآن، انت سوف تذهبين للورشة غدا، و أنا أعود للقصر وإلى عملي، هناك يجب أن نستيقظ باكراً.

نامت ناومي بعمق، لكن جانيت بقيت مستيقظة جالسة على سريرها و ضوء القمر ينير الغرفة، كانت جانيت تنظر إلى ناومي النائمة بعمق و تبتسم تتحمس إلى الرسم غدا في الورشة، و ما نوع الأشخاص الذين سوف تقابلهم؟

في الصباح التالي تتناول جميع الخادمات الفطور مع الآنسة كلارا، عند الانتهاء غادرت ناومي للعودة إلى القصر، أما جانيت بقيت تنتظر السيد ألبرت حتى وصل للمنزل، حملت جانيت حقيبتها و وضعت قبعتها التي أخفت تحتها شعرها.

ذهبا مشيا على الأقدام إلى الورشة و في طريقهما تحدث ألبرت :

-أن الورشة ليست ببعيدة عن المنزل، لهذا سوف أزورك كثيرا حتى أتفقد أحوالك، لا تنسي أن باب منزلي مفتوح دائما من أجلك..

ابتسمت جانيت و خف عنها التوتر قليلا : شكرا.

{3}

صراع داخلي

توقف ألبرت أمام مبنى صغير يحتوي على طابقين وقد بدا قديما بعض الشيء، نظرت جانيت بتمعن للمكان شاردة الذهن وقد سرحت مخيلتها بعيدا، بدا المكان كئيبا ذا لون كئيب لكن مخيلة جانيت لونته بحب.

رفع ألبرت يده و طرق الباب، لكن لا أحد يفتح ، فقام بتحريك مقود الباب فوجده غير مغلق دخل الورشة مع جانيت و كان المكان مظلم دخل ألبرت و فتح النوافذ ليدخل ضوء الشمس ، أنارت الشمس المكان في وسط فوضى عارمة من فرش، و ألوان، و لوحات هنا و هناك، لمحت جانيت اللوحات التي علقت على الجدار اقتربت منها في ذهول تام.

بحث ألبرت في غرفة مجاورة على أدريان و وجده جالسا وهو نائم على الكرسي بجانب لوحة لم تكتمل بعد، نادى ألبرت عليه حتى استيقظ، و قال : لقد أحضرت لك جانيت أنها تنتظر قرب الباب.

خرجا من الغرفة و وجدا جانيت واقفة تنظر إلى اللوحات على الجدار ، نادى عليها ألبرت، لكنها لم تسمعه، كانت في عالم آخر تماما و هي تنظر إلى اللوحات كأنها تخاطبها، كانت اللوحة لحديقة المدينة و قد رسم فوق الكرسي قط أبيض اللون اختلط لونه مع الكرسي و مع ذلك اللون الفاتح للأعشاب و نور الشمس الساطع.. اقترب ألبرت و ربت على كتف جانيت فنظرت إليه ، ابتسم و قال: رحبي به، إنه معلمك الجديد السيد أدريان..

بدا على وجه جانيت الارتباك و التوتر ، أخذت نفسا عميقا ثم وقفت باستقامة، و قامت بنزع قبعتها و اسندتها إلى صدرها ، حركت قدم واحدة إلى الخلف و رفعت الفستان بلطف و قالت بتردد : أنا.. أنا أدعى جانيت بريموز أتيت من قرية صغيرة تدعى لاريسا، تشرفت بمعرفتك سيدي..

نظر أدريان إليها، و لم يملك أي ملامح معبرة على وجهه، ثم قال : نعم ، أهلا بك.

أشار إلى الكراسي و الطاولة، وأراد منهما الجلوس، لكن اعتذر ألبرت، و قال إن لديه أعمالا مستعجلة هذا اليوم و يجب أن ينجزها، ثم غادر الورشة بعد أن ودع جانيت.

جلست جانيت و ادريان و وسطهم طاولة خشبية، ثم قال ادريان بنظرات حادة : بالصدفة لقد رأيت لوحة من لوحاتك تباع في المزاد، إنه

لأمر مدهش، بعد أن وافقت على طلب ألبرت حدثني عن لوحتك، أكاد لا أصدق أن الرسامة فتاة.

-شكرا لأنك وافقت أن أكون أحد المتدربين عندك!

تنهد أدريان : في الحقيقة، أنا لم أملك متدربين من قبل، أنت أول متدرب عندي، و الآن سوف أريك غرفتك.

وقف أدريان من مكانه، صعد الدرج و تبعته جانيت توقف عند غرفة من الطابق فتحها و قال : هذه غرفتك ، من الآن فصاعدا.

-حاضر.

كانت غرفة تحتوي على سرير و طاولة مع كرسي و مليئة بالتماثيل التي تستعمل كنموذج للرسم، و الغبار هنا و هناك، نظر أدريان إلى جانيت، و قال :

-بالنسبة لي ، لدي منزل اذهب إليه فستعيشين بمفردك في الورشة فيجب أن تعتمدي على نفسك، دخلت جانيت الغرفة و فتحت النافذة بصعوبة لأنها كانت مغلقة بإحكام و ألقت نظرة إلى الخارج ، كانت النافذة تُطل على الشارع المقابل للورشة.

-سوف أغادر الآن ، بما أنك ستعملين هنا كخادمة لتنظيف لمدة عام كامل يجب أن تبدئي في الحال ، سوف أغادر لدي بعض الاشياء يجب أن أشتريها ...

-حاضر

غادر أدريان الغرفة، و وضعت جانيت حقيبتها فوق السرير، دخل أدريان مرة أخرى الغرفة، و قال : لقد تذكرت و الرسم ممنوع.

-حسنا ، فهمت

غادر أدريان الورشة مسرعا، عم الهدوء في الورشة فغيرت جانيت ملابسها و بدأت في تنظيف غرفتها ، بحثت في الورشة و عثرت على غرفة صغيرة تحتوي على خزانة كبيرة و فارغة فوضعت فيها التماثيل بعد التنظيف، قامت بترتيب ملابسها في خزانتها و دخلت المطبخ لترتيبه.

انتهت من تنظيف الورشة بأكملها مع حلول الليل، أشعلت جانيت شمعة و وضعتها فوق الطاولة و جلست على الكرسي و تفاحة حمراء في يدها قد وجدتها بالمطبخ و هي تتأمل اللوحات و تحدق بهم وكأنها تدرس في تفاصيلهم ، حتى نامت و هي جالسة بعد أن انطفأ فتيل الشمعة..

في صباح اليوم التالي فتح باب الورشة و تسللت أشعة الشمس لتقطع نوم جانيت، ثم دخل أدريان للورشة وهو يحمل كيسا نظر أدريان هنا و هناك في أرجاء الورشة، ثم ابتسم :

-صباح الخير أصبحت الورشة مضيئة أخيرا، دائما ما أشعر بالكسل أو لا أجد وقتا حتى أقوم بالتنظيف ، و لهذا أحضرت مكافأة لك، لقد اشتريت لك مجموعة من أقلام الرصاص و الفحم و دفتر للرسم.

لمعت عينا جانيت، وكأن الحياة تعطيها فرصة أخرى ، شعرت بسعادة كبيرة حتى قفز قلبها من دون أن تشعر : شكرا سيدي.

-حسنا، لكن بشرط ، بما أنك سوف تعملين في التنظيف لمدة عام كامل بالورشة، يجب أن ترسمي فقط في ذلك الدفتر ممنوع الرسم بأي مكان آخر غير الدفتر و لك الحرية في الرسم، يحتوي الدفتر على أربعين ورقة

-حاضر .

بعد أيام في المساء بقصر الملك جلس إدوارد في غرفته و خادمان يجهزان في ملابسه ، أخطأ أحد من الخادمين و أسقط حذاء إدوارد على الأرض، فاعتذر بشدة، فصرخ إدوارد عليهما : غادرا حالا ، ألا أستطيع أن أعتمد على أحد في هذا القصر؟

اعتذر الخادمان و انصرفا بسرعة، سمع دافين من الخادمين سبب غضب إدوارد ، فدخل الغرفة و وقف خلف إدوارد..

-دعني وشأني لست في مزاج جيد أبداً.

دافين بشيء من السخرية : نعم، إن هذا متوقع منك، لأنك تكره الحفلات والمناسبات الاجتماعية، تريد فقط البقاء في غرفتك وحيداً..

وقف إدوارد و ارتدى المعطف الأسود الحريري، و مشط شعره البني للخلف و ارتدى حذاءه، و تقدم نحو الباب و غادر الغرفة بكل هدوء، وكأنه لم يصرخ من قبل ، نظر دافين إلى اللوحة المعلقة التي رسمتها جانيت، و قال لنفسه :

-أتفهم بعض من سلوكات إدوارد أحيانا لأنه يحمل مسؤولية كبيرة على عاتقه منذ ولادته، لقد افتقدت حماسة و ابتسامته عندما يتحدث عن تلك الفتاة..

أقيمت حفلة في أحد المنازل الفخمة لأحد من النبلاء، دُعي إليها كثير من الشخصيات المهمه في المملكة، حتى أن الملك و الملكة كانا مدعوين، وصلت عربة إدوارد و نزل منها هو و دافين، و اقترب من باب المنزل و قد كان منظم الحفل واقفا أمام باب المنزل ، فاقترب إدوارد منه، و قال:

-مساء الخير سيد

رحب منظم الحفلة بإدوارد، ثم فجأة سأل بحماس : إذا متى سيصل الملك و الملكة؟

-لن يحضر لا الملك و لا الملكة إلى هذه الحفلة.

-لماذا لن يأتي الملك؟ هل من مكروه قد أصابه؟

اقترب إدوارد منه و همس في أذنه: أنا أعلم ما الهدف من هذه الحفلة، إن هذا واضح و بارز كجبهتك العريضة هذه.

تسمر منظم الحفلة في مكانه من صدمة ما سمعه، و دخل إدوارد الحفلة، قدم تحية لبعض من النبلاء الذين عرفهم من قبل و انسحب بسرعة لركن من أركان قاعة الحفل وهو ينظر إلى الأرض و قد كان دافين جواره.

امتلأ المكان بالحضور و بدأت حفلة راقصة ، لمح إدوارد من بعيد إيلين وهي تبحث عنه فسألت والدها و أخبرها بأن إدوارد قد جاء و ألقى عليه التحية سابقاً، استدار إدوارد للحائط حتى لا تتعرف عليه إيلين و كذلك دافين فبحثت في أرجاء القاعة عنه.

بعد لحظات شعر إدوارد بالملل فقرر مغادرة الحفلة، لكن وجد إيلين واقفة أمام الباب، فقرر الخروج من الخلف، تجول في المنزل مع دافين بحثا عن المخرج فتفاجأ بلوحة جميلة معلقة على جدار في غرفة لطعام في طريقهم للبحث عن المخرج،

وكأن السكون حل العالم، و لم تعد أصوات الآلات الموسيقية تدخل دماغه نظر مطولا فيها و لمس التوقيع الذي كتب في الأسفل "جان" و دمعت عيناه، شعر دافين بالسوء على إدوارد، و عندما غادرا المنزل و ركبا العربة للعودة إلى القصر تحدث دافين : إدوارد ما رأيك أن..

قاطعه إدوارد : لا ، لا ، أنا أعلم ما سوف تقوله، لا أريد رؤية جانيت ، اسمع جيدا أنا أحبها، لكن لا يحق لي قول هذا الكلام من الأساس لدي خطيبة، و لدي مملكة يجب أن أحكمها يوما ما، ليس لدي وقت لأتبع فيه قلبي و رغباتي..

تنهد دافين و نظر بحسرة إلى إدوارد الذي كان ينظر من نافذة العربة و قدماه ترتجفان و يحرك عينيه هنا و هناك بسرعة كأنه يمسك دموعه، قال دافين لنفسه :

-أنت دائما هكذا، تضع قيودا أكثر فأكثر على نفسك.

في الصباح التالي فتح دافين باب غرفة إدوارد و دخل من أجل أن يضع الخدم في الغرفة طعام الإفطار لإدوارد، لكنه رفض ارتدى ملابسه و اتجه إلى مكان التدرب على الرماية بوجه أصفر اللون، أمسك القوس و السهم و تنهد.

دخل عليه شقيقه الأصغر باتريك وهو يبتسم، نظر إليه إدوارد تفاجأ و تجمد في مكانه، اقتحم قلب إدوارد كثير من المشاعر المختلطة كلما نظر إلى باتريك، فابتعد و نظر بعيدا، اقترب باتريك منه و سأل :

-صباح الخير يا أخي ، لقد شاهدتك بالصدفة قادما الى هنا، لكن لماذا؟ إن الجو بارد هذا الصباح..

غادر إدوارد المكان دون أن يلتفت إلى باتريك، أو ينطق حرفا، شعر باتريك بالإحباط مجدداً، لأن إدوارد دائما ما يعامله هكذا، ببرودة أكثر

من برودة الثلج، و أن والده و والدته لا يهتمان به، و لا أحد يهتم لأمره ، أسرع إدوارد و عاد لغرفته و أغلق باب غرفته بقوة حتى عصف صدى صوته القصر الهادئ بأكمله.

في ورشة أدريان كانت جانيت تجلس على كرسي خلف أدريان الذي كان ينهي لوحته، أمسكت جانيت القلم و رسمت في دفترها ظهر أدريان وهو يقوم بالرسم، مرت أيام و جانيت تقوم بأعمال التنظيف في الورشة و تقوم بالرسم في الدفتر و بعد أن انتهى أدريان من اللوحة جاءت الزبونة و أخذت لوحتها وقد كانت الابتسامة لا تفارق وجهها، أعجبت جانيت بعمل أدريان و تحمست لبدء العمل.

وفي يوم من الأيام وقفت على مقربة من الحديقة التي تتواجد في منتصف المدينة، و شاهدت النافورة و منظر الحديقة الجميل فرسمته لكن على عجل لأنها خافت أن يراها الحراس، استمرت في التجوال في المدينة و البحث عن ما تريد أن ترسمه،

بعد أيام أرادت جانيت أن تقوم برسم منظر طبيعي خارج المدينة، لكن أدريان كان لديه عمل يجب أن ينتهي منه فطلب من صديق له أن يرافق جانيت و يحميها.

في ذلك اليوم كان مستشار الملك الذي يدعى ألفريد في غرفته، و الذي قد أخذت حياته منحى جديدا عندما نظر إلى إيفا بعيون الحب، بدأ ألفريد بتغيير ملابسه و أشعت الشمس تضيء غرفة نومه، ويمتزج

نورها بلون شعره الرمادي منعكسة على عيونه التي تبدو بنفسجية اللون.

كان ذا عمر يناهز سبعة وثلاثين، كان ألفريد يحمل على ظهره ندبة كبيرة، دخلت إيفا الغرفة عليه بهدوء و لمست الندبة على ظهره برقة و سألت بإهتمام : ألا تزال تؤلمك من وقت لآخر ؟

-أنا بخير الآن، و هذا بفضلك!

هل كان سؤال إيفا عن ندبة ظهر ألفريد، أم السؤال عن جروح قلبه؟

تناولا طعام الإفطار، و أوصت إيفا الخادمة أن تهتم بالمنزل و بقطتها في غيابهما، ركبا العربة الفاخرة التي كانت تقف أمام منزله الضخم، و انطلقت العربة و في طريقهما متجهة إلى نزهة كعادتهما، أمسكت إيفا بيد زوجها ألفريد و نظرت إليه و ابتسمت.

كانت ذات ملامح بجمال متوسط، لكن ابتسامتها و لطفها جعلها في عين ألفريد أجمل شيء حصل في حياته، ثم ألقى ألفريد عينه خارج العربة وإذا بشعر أحمر امتزج لونه وسط أزهار تدعى بزنبق العنكبوت الأحمر، لم يصدق ما رأته عيناه و من دون وعي قال : أوقف العربة هنا، سأخرج قليلا..

قالت إيفا وهي قلقة على زوجها ألفريد الذي قد تصلبت يده و بدأت تتعرق، و أنفاسه تسارعت فجأة : لكن إلى أين؟ لم نصل إلى الجبل بعد..

توقفت العربة و نزل ألفريد منها، و قدماه ترتجفان من الصدمة و هو يردد في نفسه هل هذه أنجيلا؟ مستحيل لقد رأيت جثتها بعيني يستحيل أن تكون هي، إذا من هي ؟

نظر فقط إليها كأنه لا أحد من حولها، و لا وجود لشيء آخر غيرها، ركض باتجاهها لكن تعثر وسقط، فعاود الوقوف بسرعة و اقترب منها و مد يده حتى يلمسها، وإذ برجل يقف أمامه ليمنعه من لمسها، و سأل الرجل : من أنت ؟ ماذا تريد من هذه الفتاة؟

استقام ألفريد في وقفته و قال بتردد : ظننت أنها شخص أعرفه!

-ما اسم الشخص الذي تقصده؟

-لا، لا شيء، لابد انني أتوهم.

عاد ألفريد إلى العربة بملامح ميتة و رأسه فارغ من الأفكار كأنه لم يفكر يوماً، أعتقد أن ما فعله أمر غاية في السخف ركب العربة و انطلقت، ترددت إيفا في سؤال ألفريد عن ما يفكر فيه، ما الشيء الذي شغل تفكيره و جعله يقلق؟، عندما لاحت بنظرها تجاه نافذة العربة رأت شعرا أحمرا في الأفق، أحست أن جروح ألفريد لا تزال موجودة .. شعرت إيفا بالقلق أكثر عليه فسألت عن هوية الفتاة التي تجلس هناك، لكنه صرخ عليها..

رسمت جانيت في دفتر الرسم زهرة زنبق العنكبوت الأحمر و المنظر الجميل الذي خلف الأزهار كان جبلا و أشجارا متباعدة بعد أن انتهت ركبت الحصان مع صديق أدريان و عادت إلى الورشة.

بعد أيام حينما كانت تتجول في المدينة و تشتري أغراضا مهمة للورشة كلفها أدريان بالتسوق، أخذتها أقدامها بالصدفة إلى أمام قصر الملك، أعجبت جانيت بالزخارف التي على بوابة القصر، أسرعت للعودة إلى الورشة وضعت الأغراض و سألت ما إذا كان دافين يحتاج شيئا آخر، فأجابها أنه لا يحتاج أي شيء و تستطيع أن تفعل ما تريد بقية اليوم..

صعدت إلى غرفتها و حملت دفترها و القلم، و خرجت متجهة نحو القصر الملكي، كانت بوابة القصر ضخمة ذات النقش البديع و أغصان الورد الأبيض ملتو على باب القصر من الأعلى حتى الاسفل، و يقف على جانبي البوابة حارسان يقفان باستقامة بملابس الحرس الملكي، يضع كل منهما على خصره سيفا، نظرت جانيت من بعيد إلى البوابة، ثم جلست على حافة الرصيف و أخرجت دفترها لترسم..

انتهت جانيت من رسم البوابة بدقة كبيرة، وبذلك غمرتها السعادة من إنجازها هذا، وغادرت المكان و عادت إلى الورشة.

و ذات يوم أخذ ادريان جانيت في جولة حول المدينة لتفقد ورشات الفن، كان أغلب المتدربين من الرجال الذين تحيط من حولهم هالة من الإحباط و فقدان الدافع، و البعض الآخر يحارب في هذه الساحة القاسية

التى تدعى بالورشة حتى يحصل على زبون و يقطف بذلك ثمار رزقه، بقيت جانيت من الصدمة تحدق هنا و هناك من دون تفكير، كيف لا وهي واقفة أمام باب أكبر ورشة في المدينة، و هي ورشة الرسام المعروف نيكولاس..

تحتوي هذه الورشة الكبيرة التي يقصدها كثير من الزبائن الأغنياء و النبلاء، على كثير من المتدربين و المساعدين الذين يتعلمون الرسم و النحت تحت إشراف معلميهم و تحت إشراف السيد نيكولاس، تقدم أدريان و تحدث إلى نيكولاس الذي سمح لجانيت أن تأخذ جولة و تشاهد اللوحات و التماثيل.

ابتعد أدريان و نيكولاس الذي كان يبدو كبيرا في السن و شعر رأسه و لحيته مثل القطن، تحدثا معا عن أية أعمال جديدة يستطيع أدريان المساعدة فيها، و دائما ما كان السيد نيكولاس طيبا مع الابن الوحيد لصديقه..

بقيت جانيت تشاهد رجلا وهو يقوم بتلوين لوحته، قد اندهشت جانيت من دقته و سرعته في اختيار الألوان و دمجها. كان الرجل يحرك فرشاة الرسم بسرعة خارقة، و بالصدفة سمعت أحدا من الرجال يتحدث بصوت عال من خلفها حتى يسمعه زملاؤه الآخرون عن أدريان أنه يملك ورشة، ومع هذا يطلب عملا من ورشة أخرى، و دخل السجن في الماضي وهذا هو سبب عدم حصوله على متدربين، و همس الآخر خوفا من أن يسمعه السيد نيكولاس، بأن ورشة أدريان ورثها من عند والده

و قد كانت الورشة مزدهرة في الماضي عكس الآن، لأنها فارغة و لا تحظى بالزبائن حتى.

أصبحت تلك الورشة الضخمة التي بدت لجانيت من أول وهلة بأنها أفضل مكان يمكنها أن تزوره كل يوم وسط تلك اللوحات و الألوان و وسط متدربين مثلها ، مثل أسوأ مكان يمكن أن تكون فيه، استدارت جانيت للرجلين و اقتربت منهما و تجاعيد على جبهتها استغرب الرجل من نظراتها.. انحنت و رفعت فستانها بلطف و حركت قدما للخلف، و قالت بصوت عالي حتى سمعها الجميع :

- أنا أدعى جانيت بريموز مساعدة في ورشة السيد أدريان، تشرفت بمعرفتكم.

نظر الجميع إليها بنظرات الاشمئزاز، فاستغربت من همس الآخرين لبعضهم البعض .. فتاة؟ لماذا تعمل فتاة كمساعدة في ورشة؟ هذا أمر مستحيل، لا يجب الموافقة على هذا أولا لا أحد يرغب بتواجد فتاة في مكان لعمل الرجال، على الفتاة أن تتزين من أجل أن تتزوج، فجأة قاطعه صوت ضرب مالك الورشة نيكولاس يده على الطاولة الخشبية، ثم قال بصوت عال، و بملامح تثور غضبا..

-من قرر بأن الورشة مكان مخصص للرجال؟

عم الهدوء في الورشة، و ترك جميع المتدربين العمل من أيديهم حين تحدث نيكولاس : أنا لن أغفر لأي واحد منكم إذا قال كلاما كهذا مجددا،

إن والد أدريان أحد أصدقائي، لقد مات و ترك الورشة لابنه، أين مشكلتكم في هذا؟، كل ما حدث مع أدريان أنا على علم به.. و مساعدته جانيت لقد حدثني عنها من قبل، و شاهدت لوحة لها ورسمها منبع للحيوية، وهو أعلى قيمة بكثير من رسم أفضل مبتدئ شاهدته في حياتي رغم أنها لم تتلق التدريب بعد..

اعتذر جميع المتدربين إلى جانيت و أدريان رغم نظرات الحقد التي تنبعث من بعضهم، لكن حينها تفاجأ أدريان من كلام جانيت و بذلك قد شاهدها لأول مرة يظهر شيء على وجه جانيت من المشاعر، لأنها دائما ما كان وجهها خاليا من التعابير، لأول مرة يراها أدريان غاضبة، لا بل كانت تلك أول مرة في حياتها تغضب فيها و لم تستطيع التحكم في نفسها.

بعد مرور شهر تقريبا حصل أدريان على عمل بواسطة نيكولاس، كان عمله يتمثل في رسم لوحة كبيرة للحصان المفضل لدى إحدى السيدات النبيلة، وقد كان أدريان يعمل لمدة ثلاث ساعات كل يوم لمدة أسبوع، وكانت جانيت ترافقه كلما سمحت لها الفرصة لتشاهد تقدمه في العمل، و تشاهد بقية المتدربين وهم يعملون..

بعد مرور عام كامل من دخول جانيت الورشة، شاهد أدريان رسومات جانيت، كانت من بين الرسومات أنها رسمت ناومي وهي تضحك، و رسمة أخرى للسيد ألبرت قد رسمتها عندما ذهبت لزيارة منزل السيد ألبرت، و رسمت أيضا حديقة المنزل، و الشارع الذي تطل عليه نافذتها،

و رسمت بعض من التماثيل التي وجدتها في الورشة، و رسمت بعض من أنواع الزهور بعد ذلك مباشرة بدأ امتحان جانيت الذي تمثل في رسم ثلاث لوحات، و سيتم تقييم كل لوحة على حدة من قبل شخص مختص في ذلك النوع من اللوحات.

جلس أدريان مع جانيت و بدأ بشرح موضوع كل لوحة لجانيت و هو غارق في بريق عينيها التي تألقت حماسا للرسم على اللوح مجددا، كان موضوع اللوحة الأولى رسم تمثال و الثانية رسم منظر طبيعي، اما الثالثة رسم شخص معين و أن مدة هذا الامتحان شهر واحد فقط، فطلبت جانيت من أدريان أن يقدم لها لوحات للرسم فقال لها : انتظري هنا لحظة سوف أعود..

صعد أدريان إلى غرفة التخزين، بحث في الخزانة ثم أخرج عشرة ألواح خشبية تأخذ شكل و حجم لوحات الرسم و وضعهم فوق طاولة أمام جانيت، و سأل : هل تعرفين التمبرا؟

-نعم، لقد شاهدت أحد المتدربين في ورشة السيد نيكولاس يقوم به، وقد علمني فعل ذلك.

-إذا قومي بتجهيز هذه الألواح الخشبية من أجل الرسم، لديك يومان من أجل إنجاز هذه المهمة.

انتظر أدريان من جانيت أن تتحجج بالوقت، و تقول بأنها لن تستطيع إنجاز العمل في يومين فحسب، لكنها ابتسمت و وافقت على العمل

من دون تفكير، لأنه أول عمل ستقوم به في الورشة بدل التنظيف و الرسم بقلم الرصاص على الورق، تحمست لإنجاز المهمة فقام بإعطائها نصيحة وهي النوم باكراً الليلة حتى تستطيع أن تعمل غدا بنشاط، ثم غادر الورشة إلى منزله، بقيت جانيت جالسة على المقعد أمام الطاولة و الشمعة تضيء الغرفة وهي تنظر إلى الألواح الخشبية بحماس و لم تستطع النوم.

بدأت بالعمل.. بحثت في الورشة عن ما تستطيع جعل اللوحات به بملمس ناعم، ثم قامت بخلط البيض و الطلاء الأبيض لتقوم بطلاء اللوح الخشبي، و استعانت بعجين لتسد به مسام و شقوق اللوحة، جهزت جميع الأدوات، و بدأت العمل على الألواح و من دون أن تشعر انتهت من سبع ألواح و بقي ثلاث، و في أثناء دهن اللوح الثامن بدأت يداها ترتعشان من التعب و شعرت بالألم في أصابعها..

في الصباح التالي استيقظت جانيت مفزوعة و وجدت أن أدريان يتفقد اللوحات بتمعن، و في صمت تام، فشعرت جانيت بالتوتر، بعد لحظات قال : لا فائدة ترجى منك..

شعرت جانيت بإحباط كبير، و نظرت إلى الأرض : أنا آسفة..

لا داعي للاعتذار، المهم أن عملك جيد، و لكن ألم اطلب منك أن تنامي جيداً؟ من المفترض أن لديك يومين لعمل هذه اللوحات..

تنهدت جانيت و شعرت بالارتياح: لقد شاهدت حلما مفزعا وهو أنني لم أنته من عملي في الموعد المحدد و بعدها خضعت للامتحان و لم أنجح.

وضع أدريان ثلاث لوحات بعد أن تفقد جيدا جميع اللوحات و قال : قومي بإعادة دهن هذه اللوحات بالطلاء الأبيض و اتركيها تجف، أما بقية اللوحات سوف آخذها إلى غرفة التخزين.

قامت جانيت بإمساك فرشاة الرسم لدهن اللوحة، لكن لم تستطع و بدأت يدها ترتجف، و سقطت من يدها الفرشاة، شاهد أدريان يدي جانيت ترتجفان، تملكتها أحاسيس مبعثرة من إحباط و احمر وجهها، فطلب أدريان منها أن تذهب لشراء الخبز و هو سوف يقوم بإعداد طعام الغداء، و أن ترتاح بقية اليوم، ثم تستطيع أن تكمل العمل على اللوحات في الغد،

اكتملت عملية تجهيز اللوحات، و بدأ الامتحان و مدته شهر واحد فجلست في غرفتها و ثلاث لوحات بيضاء كل واحدة منها فوق قد وضعتها على المسند الخشبي تنتظر حتى تزورها الأفكار، بعد مرور أيام و جانيت على تلك الحال حبيسة غرفتها و تقوم بالرسم بقلم الرصاص على الورق، ثم لا تعجبها الفكرة فتقوم بتمزقها،

كانت أسوأ فترة من تلك الأيام هي الليل الذي كانت تستلقي فيه على السرير محاولة النوم و تبدأ أفكار من الماضي تأرق نومها.

و بعد محاولات عديدة بقلم الرصاص على مسودة شعرت بالإحباط، و تذكرت كلام المتدربين الآخرين بأن الفتيات غير مناسبات لهذا العمل أبدا، بعد مرور الخمس أيام تلك التي كانت مظلمة جدا في غرفة جانيت لم تتناول الطعام الذي يحضره أدريان إليها، ابدا و لم تحرز جانيت أي تقدم يذكر،

في المساء عندما تحولت غرفتها إلى اللون البرتقالي، جلست تنظر من النافذة، ثم تذكرت كلام أدريان أن تقوم جانيت برسم ما تحب و تريد، و بطريقتها الخاصة من دون محاولة تقليد الآخرين، لأنها فتاة و تمتلك لمستها المميزة عن بقية الرسامين الرجال، و هذا بالتحديد ما لفت انتباه الكثيرين في لوحتها أثناء المزاد.

جانيت فتاة ترسم بتلقائية على اللوحة تبدأ مباشرة في تخطيط بعض من خطوط الفكرة الأولية، ثم تبدأ بالتلوين، لكن أرادت حينها أن تجرب رسم مسودات و تحاول بذلك تقليد طريقة أدريان، و لم تنجح بعد ذلك قررت الرسم بطريقتها الخاصة، و لأول مرة منذ بداية الامتحان استطاعت جانيت أن تبتسم، وعاد بريق عينيها و نامت بعمق تلك الليلة.

استطاعت جانيت أن تنتهي من لوحتين بعد مرور ثلاثة أسابيع من وقت الامتحان، و موضوع اللوحة الأولى المنظر الطبيعي، وقد رسمت الكوخ الذي وجدته في غابة قرية لاريسا من دون تردد لأنها افتقدت المكان كثيرا، كيف لا تفتقده وهو قد كان بمثابة المنزل و المأوى

بالنسبة لها، أما اللوحة التي كان موضوعها رسم شخص معين قد رسمت نفسها ..

بعد تفكير مطول بمن ستقوم برسمه، كانت بادئ الأمر لا تحب شكلها و لا لون شعرها و لا شخصيتها، لكن استطاعت تقبل كل ما يتعلق بها بصدر رحب عندما فكرت بالأشخاص الذين أحبوا و آمنوا بقدراتها،

لم تأخذ جانيت استراحة قبل أن تبدأ اللوحة الأخيرة، ذهبت مباشرة إلى ورشة السيد نيكولاس في الصباح التالي بعدما تحدثت مع أدريان عن الأمر، فقد رسمت من قبل تماثيل ورشة السيد أدريان في دفترها، و قد أرادت أن ترسم تمثالا جديداً لم ترسمه من قبل،

أخذت جانيت اللوحة الثالثة و أدوات الرسم، وصلت لورشة السيد نيكولاس و دخلت مبكراً فلم تجد كثيرا من المتدربين، قابلت نيكولاس و حدثته عن طلبها، فوافق بكل سرور قائلا :

-انت متدربة لدى أدريان و هذا يعني أنك بمثابة أحد من المتدربين لدي..

تجولت جانيت في الورشة الكبيرة بحثا عن تمثال يلفت نظرها و يعجبها، هناك التماثيل الكبيرة للجسم بأكمله، و النوع الآخر الذي يحتوي على الوجه و الكتفين فقط، بحثت طويلاً لكن شعرت بأن التماثيل كلها تشبه بعضها البعض و أنها رسمت شبيها لها من قبل في ورشة أدريان، أحست بأنها سوف تستسلم..

اقترب منها الرجل الذي كان يتحدث بالسوء المرة الماضية عن أدريان و رحب بها وهو يردد في نفسه بما أن السيد نيكولاس قد سمح لها بالرسم هنا فيجب على الجميع هنا أن يحترموا قراره، طلبت جانيت مساعدته في أن يدلها على تماثيل أخرى في الورشة.. اقترح عليها تمثالا تم وضعه في الطابق العلوي،

حملت جانيت اللوحة الخشبية بيد و الحقيبة التي تحتوي على الأدوات بيد أخرى بدت ثقيلة عليها فعرض الرجل مساعدتها، لكن جانيت رفضت بحجة أن هذا امتحانها الخاص، صعدا للطابق العلوي و فور أن دخلا غرفة التماثيل أسقطت جانيت أغراضها على الأرض من دون وعي منها، و نظرت بدهشة إلى تمثال موضوع في وسط الغرفة لنصف جسد امرأة ذات شعر طويل مموج بأوراق شجر ترتديها مثل التاج على رأسها، و أجنحة ملاك خلف ظهرها و تضع يديها على صدرها، كانت ملامح وجهها رقيقة فسألت جانيت عن هوية من نحتها وقد كانت آخر منحوتات السيد نيكولاس، و رفض بيعها أو تقديمها لأي أحد.

فتحت نافذة الغرفة التي احتوت على تماثيل أخرى و رفوف كثيرة وضعت فيها أدوات للنحت، جلست على كرسي و وضعت لوحتها على مسند خشبي قد أعطاها إياه السيد نيكولاس، ثم نظرت إلى التمثال وخيل لها أن المرأة المنحوتة بشعر أصفر و ردائها الابيض يشع نوراً، فنظرت المرأة لجانيت و ابتسمت، انتهت جانيت من التخطيط لملامح التمثال و بدأت باستخراج تدرجات اللون الاسود و الرمادي لتبدأ بتلوين اللوحة،

دخل عليها السيد نيكولاس فجأة، نظر إلى اللوحة بإمعان في قرارة نفسه لم يرد أن يقدم لها أي نصيحة حتى تنجح في الامتحان بواسطة مهاراتها و لمستها الخاصة لكن منعها من التلوين الان فتركت أغراضها في تلك الغرفة و نزلت معه بطلب منه، ثم قال : انت لم تقومي بتلوين لوحة لأحد التماثيل من قبل، هناك ما يجب أن تعرفيه..

طلب منها الجلوس و المشاهدة فحسب، جلست تنظر إلى رجل قد كان هناك يقوم بتلوين تمثال أمامه، لاحظت جانيت أن المتدرب يقوم بتلوين الخلفية باللون الأسود أولا ثم يقوم بإستعمال الرمادي الداكن لتحديد مكان الظل في اللوحة بعدها يبدأ بالتدريج بتلوين حواف التمثال، ثم يدقق في تفاصيله، بقيت جانيت صامتة تدرس طريقة التلوين هذه بكل مراحلها حتى فهمت المغزى، تحدثت مع السيد نيكولاس بأن تترك أدواتها في الغرفة بالطابق العلوي أمام التمثال و تستمر بالقدوم كل يوم في الصباح الباكر عند دخول أشعة الشمس.

في الصباح التالي ذهبت مبكرا للورشة و دخلت، و قد كانت الورشة فارغة، وجدت فقط السيد نيكولاس جالسا يتحدث مع رجل ذي الثلاثين من عمره، يدعى داني قائد في الجيش وقد كان زبونا دائما عنده، طلبت جانيت الإذن من نيكولاس بأن تستمر في رسم لوحتها و سمح لها، ثم صعدت إلى الغرفة في العلية لتستمر في الرسم، سأل داني السيد نيكولاس عن جانيت، فأخبره بقصتها، استغرب داني كثيراً كون فتاة متدربة في ورشة و أعجب بالعزيمة التي تمتلكها و لأنها استيقظت

باكرا من أجل إنهاء لوحتها مع أن الورشة فارغة من المتدربين الآخرين من الرجال.

بعد أن تحدث داني عن ما يريده إلى نيكولاس، أراد داني أن يغادر الورشة، لكن أصابه الفضول لرؤية اللوحة التي ترسمها جانيت فصعد مع نيكولاس إلى الغرفة في الطابق العلوي حيث جانيت ترسم، نظر إلى ظهرها وهي جالسة باستقامة و بثقة كبيرة تحرك الفرشاة على اللوح، بعد لحظات نزل إلى الأسفل مع نيكولاس فعرض عليه أن ترسم جانيت اللوحة بدلا منه فوافق مباشرة، و بذلك سوف ينتظر داني حتى تنجح في الامتحان، و تصبح جانيت بذلك رسامة مساعدة في ورشة أدريان، و يمكنها أن تتلقى أعمالا من الزبائن..

بعد مرور أسبوع.. انتهى بذلك وقت الامتحان، و أنهت جانيت لوحتها الأخيرة، حمل أدريان اللوحات الثلاثة حتى يتم تقييمهما في معرض اللوحات بواسطة ثلاثة مقيمين، فأعجب ثلاثتهم باللوحات كثيرا، و تم منح اللوحات الثلاثة علامة كاملة و شاهدوا التوقيع الذي بالأسفل "جان"،

انصدم أحدهم عندما سمع من أدريان أن الرسامة هي في الحقيقة فتاة صغيرة، فصرخ و شرارات حمراء تخرج من عينيه على ادريان :

-هل تسخر هنا؟ فتاة تتقدم لامتحان القبول و تقوم بالرسم! هذا غير معقول، لو علمت بأنها فتاة لما وافقت أن أكون المقيم..

نظر إلية نيكولاس بنظرات حادة، وقال: ألم تعبر عن إعجابك باللوحة منذ قليل؟ خير لك أن تخرس الآن، لأن هذه الفتاة التي تتحدث عنها قد بذلت جهدها من أجل أن تنجح و ها أنت الآن تسخر من مجهودها، فقط لأنها فتاة..

بقي أدريان صامتا متفاجئا من كلام السيد نيكولاس، عاد أدريان للورشة.. و قفزت جانيت مثل طفل صغير للأخبار التي سمعتها منه، ضحك أدريان لأول مرة و قال بأن جانيت قد أصبحت مساعدة له في الورشة، و أن أعمال المنزل سيتم تقسيمها بينهما، لكن جانيت أصرت أن تقوم بجميع أعمال المنزل لأنها تحب مساعدته، ثم طلبت الإذن من أدريان و ذهبت بسرعة لمنزل ألبرت.

تفاجأت بجميع الخادمات، و ناومي، و حتى الآنسة كلارا يرتدون اللون الأسود، بقيت واقفة أمام باب المنزل تشاهد ذلك المنظر المفزع، بدا الجميع حزينا و يبكي، لقد مات السيد ألبرت، مات بالأمس، ودع هذه الحياة آملا أن يكون قد حقق وصية والدته التي قالت :

- كن رجلا حقيقيا في هذا العالم و ساعد الفتيات ليعيشن حياة أفضل من ما يفرضه المجتمع!!

غادرت جانيت المنزل دون أن تنطق حرفا، لمحتها الآنسة كلارا تغادر، فذهبت باتجاهها و أعطتها رسالة تركها ألبرت لها، فاضت عيون جانيت بالدموع.. تخيلت رائحة الياسمين التي تدخل من نافذة مكتب السيد

ألبرت في المنزل، عادت إلى الورشة و أخبرت أدريان بما حدث، و طلبت منه أن يسمح لها برسم لوحة له و قد وافق على الفكرة.

أخذت لوحة و بعضا من الألوان، و جلست في على الكرسي أمام اللوحة و تستعيد ذكرياتها مع ألبرت، و تتخيل شكله.. و قامت برسمه بكل هدوء و حزن، في اليوم التالي دخل داني إلى الورشة و رحب به أدريان متفاجئا لأنه من النادر أن يأتي زبائن للورشة، جلسا للحديث و رحب به أدريان، فقال له داني مبتسما : أتيت اليوم لأعرض على مساعدتك الصغيرة عملا..

كانت جانيت جالسة في المطبخ شاردة الذهن و ممسكة برسالة ألبرت. كان الحساء في القدر على النار، أشفق أدريان على حالها و بعد أن شاهدها حزينة قرر أن يعاملها بلطف و يتركها مدة حتى تتقبل هذا الوضع.

فقام أدريان برفض عرض داني قائلا : لا أعتقد أنه الوقت المناسب لتبدأ جانيت بتلقي الأعمال..

ابتسم داني وقال : لكني قد انتظرت لمدة عشرة أيام بالفعل..

قاطعته جانيت بحزم. كانت واقفة أمام باب الغرفة و في يدها رسالة ألبرت : أنا أقبل العمل الذي قدم لي، آسفة على الانتظار..

ابتسم داني، أما أدريان فقال: لكن يا جانيت ، سيشكل هذا ضغطا عليك .. إن هذا أول عمل لك، و قد كلفك به شخص مهم في المملكة..

وقفت بستقامة، و قالت بعيون تفيض حماسة: نعم، أعلم هذا أن هذا العمل غاية في الأهمية، و لهذا يجب علي أن أقبله..

{4}

مرهف الإحساس

في يوم غائم جزئيا وقف إدوارد أمام نافذة غرفته المفتوحة و ينظر إلى الغيوم منتظراً وصول أستاذه الخاص، ضرب النسيم البارد كالثلج معلنا أن فصل الخريف سينتهي قريباً، و بذلك قد اقترب عيد ميلاد إدوارد وهو في اليوم الرابع من الشهر الحادي عشر، بعد لحظات سمع إدوارد خبرا من دافين أن الأستاذ لن يحضر اليوم، تنهد إدوارد و وقف من مكانه و أغلق النافذة، و سأل بعد أن وقف أمام لوحة جانيت :

-ماهي المخططات التي لدي هذا الأسبوع؟

أجاب دافين بحزم : لديك حفل من أجل العمل الخيري في مدينة تأيرا، و ستذهب هناك لمدة ثلاثة أيام، سوف تبيت في منزل السيد ارنتس صاحب العمل الخيري،

-ما مناسبة هذا العمل الخيري؟

انزعج دافين قائلا : أين تعيش هذه الأيام؟ ألم تسمع بالوباء الذي حل على القرية!؟، لكن الآن الوضع تحت السيطرة، نحن سنأخذ كل مايلزم من أجل مستشفى القرية لمساعدتهم، و نقوم بتعويض شيء من الخسائر التي حصلت..

تحدث ادوارد وهو شارد و ينظر إلى اللوحة : هكذا إذا..

بعد لحظات صمت اقترب منه دافين : ماذا؟ هل تفكر بها؟

عم الصمت للحظات، فاقترب أكثر إلى اللوحة و مد يده و لمس التوقيع الذي كتب أسفل اللوحة "جان" :أنا أفكر في المرأة التي باللوحة، لقد رأيتها في القصر عندما كنت صغيرا لكنني لا أتذكر هذا جيداً، كنت أتساءل من تكون يا ترى؟

إنها سجن أفكاره الأبدي، أليس غريباً اهتمامه الكبير بهذه اللوحة؟ هل هذا لأنه فعلا يشعر بفضول تجاه هوية المرأة الجميلة، أم أنه قد افتقد تلك الفتاة التي رسمت اللوحة؟ فكر إدوارد بأن جانيت تشبه كثيرا المرأة التي رسمتها، فكر بأن ذلك الرجل الذي تعيش عنده جانيت ليس والدها الحقيقي، يفكر في ماقد تفعله جانيت الآن، .. هل لاتزال ترسم؟ هل هي بخير؟

وقفت إيلين على رأس إدوارد منذ ساعات الصباح الأولى وهي قلقة على خطيبها إذ ما حدث له مكروه، من حقها أن تقلق لأن القرية قد حصل فيها أعمال شغب بعد الوباء تحججا لحالهم المزرية بعد المرور بأزمة الوباء،

كانت إيلين تتبع إدوارد في القصر من مكان لآخر دون ملل، حتى في حصته مع مدرسه، بقيت واقفة أمام باب الغرفة، وعند انتهاء الحصة غادر الأستاذ و دخلت إيلين على إدوارد و وقفت فوق رأسه مجدداً، عبر

عن انزعاجه بضرب الكتاب على المكتب بقوة وقال : إيلين ألا تملكين شيئا مهما لتفعليه؟

ابتسمت وقالت : مثل ماذا يا عزيزي؟

عم الصمت للحظات، ثم حمل إدوارد كتابه و غادر الغرفة مسرعا و أغلق الباب خلفه، جلست إيلين على كرسي إدوارد و أسندت رأسها إلى ظهر الكرسي، بدأت تلوم نفسها و تراجع خطواتها.. لم تكن تهتم كثيرا لحب إدوارد لها، لكنها تحرص على تحسين علاقتهما أمام الآخرين خصوصا قبل الزواج، كان حلمها الوحيد في الحياة أن تصبح الملكة،

كانت دائما ما تحاول مسايرة الأوضاع حتى يحين موعد إعلان خطوبتها بولي العهد المصادف لعيد ميلاد إدوارد القادم حينما يبلغ من العمر ثماني عشرة سنة، أي بعد سنة من الآن، امتلأ دماغها بالقلق إزاء أمر مجهول، كان شعوراً بأن هناك شيئا ما سيحصل، خرجت من مكتبة إدوارد و اتجهت نحو غرفة الملكة شارون عمتها و تبعتها ناومي التي كانت تقف أمام الباب..

وصل اليوم الذي سيغادر فيه إدوارد و دافين، لكن تم استدعاء إدوارد من قبل الملك، قد كانت ليلة عيد ميلاد إدوارد الذي سيبلغ السابعة عشرة من عمره، شعر إدوارد بتفاؤل عجيب لا سبب له وكأنه انتظر أن يقول له الملك شيئا عن هذا!

وقف إدوارد أمام باب غرفة الملك هارلي هاميلتون، و سمع ضحكات زوجة والده الملكة شارون بروني التي لا تتوقف أبدا، لطالما كان الملك قريبا جدا من زوجته شارون، و لم يتحدث أبدا مع طفله إدوارد من زوجته الأولى أو حتى باتريك ابن شارون،

طرق الباب فعم الهدوء، و سمح له الملك بالدخول، فتح باب الغرفة وهو ينظر إلى الأرض دون أن يرفع نظره عن الأرض أبدا، كان الملك يجلس على مكتبه و الغرفة مليئة برفوف الكتب، أمر الملك أن يتقدم إليه إدوارد، فاقترب من مكتبه وهو لايزال ينظر إلى الأرض، فقدم له ظرفا عليه ختم الملك، ظهرت على وجه إدوارد علامات استفهام من محتوى الرسالة..

تحدث الملك و الصقيع يخرج من ثقوب جسده مجتاحا إدوارد : هذه رسالة خاصة، قم بتسليمها لمنظم الحفلة هناك.

و من دون أن يتحكم إدوارد في جسده استلم الرسالة و حرك شفاهه لاإراديا قائلا : حاضر يا جلالة الملك..

استدار إدوارد، و في طريقه للخروج من غرفة الملك سمع شارون تتحدث : هيا يا عزيزي لنذهب لتناول الإفطار معا.

خرج إدوارد من الغرفة وهو يجلد ذاته الهشة، لماذا قد رفعت سقف آمالي؟ لماذا قد يفعل والدي شيئا قد يسعدني؟ لقد اعتقدت أن والدي

قد يقول لي عيد ميلاد سعيد ؟ هل أعتقد أنه سيتمنى لي رحلة آمنة، و يتمنى عودتي بسلام؟ هل أرسلني أنا بالذات لأنه يريد التخلص مني؟

وسط تساؤلات عدة وشرود ذهن لم يشعر بالوقت الذي مر حتى وصلت عربته إلى القرية، تم استقبال إدوارد و مرافقه من قبل السيد أرنيس ترحيبا حارا أمام مستشفى القرية، و بقية الخدم الذين جاءوا، كانوا يقومون بنقل الأغراض التي تم إحضارها من المدينة،

اقترح السيد أرنيس أن يدلهم على منزله حتى يرتاحوا من تعب السفر، و في طريقهم بالعربة لاحظ إدوارد أن بعض من منازل القرية لا تصلح للعيش حتى، لكن البعض الآخر كان فخما، و عند وصولهم إلى منزل السيد أرنيس توقفت العربة و نزل الجميع منها ثم سلم إدوارد للسيد أرنيس الرسالة التي أرسلها الملك، استلم ارنيس الرسالة و ابتسم حتى بعث شعورا سيئا، نظر إدوارد إليه بإشمئزاز و قال لنفسه : جميعكم مقرفون، و أنا لا أرغب في التعامل معكم بأي شكل من الأشكال..

وصل المساء و تم تجهيز المنزل لاستقبال المدعوين الذين كان أغلبهم من النبلاء، كان حفلاً فاخرا بكل معاييره، شعر إدوارد في كل مرة يقدم تحيته على المدعويين مع السيد أرنيس بالاختناق من ذلك الجو المتصنع، من ابتسامات زائفة و التحيات الكريهة، أراد إدوارد المغادرة بسرعة بعد أن هدأت الأوضاع في الحفلة، و لم يعد محط أنظار، عاد خطوتين للخلف و غادر الحفل،

تمشى إدوارد في القرية مع ظلام الليل الذي زادها سوداوية، وصل إلى المشفى، فسمع صوت بكاء هناك، اقترب من مصدر الصوت و بحث فوجده طفلا بوجه متسخ حتى أن ملامح وجهه غير واضحة، ذا ملابس ممزقه و حافي القدمين جالسا قرب شجرة، اقترب منه و سأله عن سبب بكائه.

فأخبره بأنه قد اشتاق إلى والدته التي ماتت بفعل الوباء وهو وحيد الآن، مسح إدوارد على رأسه و أعطاه حذاءه، اندهش الطفل الذي لم يتجاوز عمره العشر سنوات، و من دون أن يفكر أحس إدوارد بذراعيه تحتضنه فرحا، في تلك اللحظات أحس و لأول مرة بالاشتياق إلى والدته،

اكتشف دافين أن إدوارد قد غادر الحفلة وحيدا، وبسرعة قام بركوب حصان و بحث عنه في أرجاء القرية، كان قلقا من أن يتم ايذاؤه من قبل المتمردين أصحاب أعمال الشغب في القرية، بعد البحث وجد دافين إدوارد واقفا أمام المشفى، حافي القدمين، قام بمراقبته فترة من الزمن، ثم فجأة سقط إدوارد أرضا،

اعتقد دافين أن أحدهم قد فعل شيئا لإدوارد، أسرع إليه و أضاء ضوء القمر المكان فجأة، لم يكن هناك أحد في المكان فحمل إدوارد و وضعه على بطنه فوق الحصان، و عاد إلى منزل السيد أرنيس، استغرب الجميع من الذي يحصل.. رفض دافين الحديث عن الأمر،

في الصباح التالي استيقظ إدوارد من نومه العميق، و حكى لدافين عن الطفل الذي كان يبكي، أصر دافين بأنه لم يكن هناك أحد معه حين

وجده واقعا على الأرض، انصدم إدوارد و أكد أنه هناك فتى، وقد كان حافي القدمين و أعطاه حذاءه،

مر الوقت سريعا و لم يعرف إدوارد لماذا يفكر كثيرا بذلك الفتى الصغير ، حتى جاء موعد المغادرة، ركب العربة مع دافين و انطلقت العربة، و في طريقهما للخروج من القرية وجد الفتى واقفا على طرف الطريق وكأنه يودع إدوارد، فأمر بإيقاف العربة في الحال، سأله دافين عن السبب فأشار إدوارد إلى الطفل الذي يقف في الطريق، أنكر دافين أن هناك طفلا و أن إدوارد يتوهم فحسب..

توقفت العربة بأمر من إدوارد و خرج منها مسرعاً، خاف الطفل و انطلق هارباً، ركض خلفه إدوارد و صاح عليه وفي ثنايا صوته حزن و ألم: أرجوك توقف، لا أريد أذيتك، فقط أريد التحدث معك.

ركض خلفه من دون أن يستطيع الوصول إليه، حتى لمحه يدخل إلى الغابة، فدخل من خلفه و بدأ المطر ينزل بغزارة تقدم ببطء في الغابة لأن الرؤية أصبحت سيئة، و أنفاسه تكاد تنقطع بسبب الركض، ثم سمع الفتى يصرخ فتبع مصدر الصوت و وجد الطفل واقفا و رأسه للأرض، حتى اقترب منه و قال :

-لا تحزن، تعال معي سوف أقدم لك كل ما تحتاجه من عمل و مكان لتنام فيه..

رفع الطفل رأسه و نظر إلى إدوارد بعينين تسيل منهما الدماء قد كان وجهه مثل وجه إدوارد وهو صغير ثم قال : لقد اشتقت إلى أمي..

تجمد الدم في عروق إدوارد مما شاهده للتو، ارتجفت شفتاه محاولا قول شيء لكنه لم يستطع، عاد خطوة للوراء و الطفل كان يقترب منه و يمد له يده، و تراجع خطوات للخلف لكن سقط أرضا مغمضا عينيه، و عندما فتح عينيه لم يجد الطفل، وقف من مكانه و الخوف يتملكه و هو يسمع صوت والدته وهي تقول : ابني أرجوك توقف، باتريك لايزال صغيراً.

و بدأت أسنانه في ضرب بعضها البعض بعدما استدار و نظر خلفه و شاهد والدته على الأرض غارقة بدمائها..

في ذلك اليوم رافقت جانيت السيد داني بعربته الخاصة، و تصل العربة إلى منزل ضخم، و يدخلان المنزل مرورا ببوابة المنزل الكبيرة، كان هناك خدم كثير يستقبل السيد داني و جانيت، لفت نظر جانيت لون الجدران البني الفاتح و اللوحات الفنية المعلقة، عند سماع آنيا صوت والدها اتجهت نحو باب المنزل بسرعة، الآنسة الصغيرة آنيا بفستانها اللطيف مثل الملاك، بشعرها كريمي اللون، و الذي يصل إلى ركبتيها و عيناها الزهريتان مع وجه ناعم خال من الأوعية الدموية، انحنت جانيت بهدوء و رفعت طرف فستانها و قالت :

-تشرفت بمعرفتك، اسمي جانيت بريموز.

بقيت آنيا تنظر إلى جانيت بدهشة من لون شعرها الذي لم يسبق أن رأته من قبل، و لباقتها و لباسها الغريب، رفعت جانيت رأسها و نظرت في عيني آنيا و ابتسمت، احمر وجه آنيا بخجل و اختبأت خلف والدها، قدم داني إلى جانيت ابنته ثم قال لإبنته آنيا:

-هذه هي الفتاة التي ستقوم برسم لوحة لك، أنها رسامة موهوبة..

آنيا و هي محتضنة والدها : شكرا يا أبي، أنت أفضل أب في العالم، لقد سمعت إلى طلبي، و حققت أمنياتي.

مسح داني على رأس ابنته، و قال : حسنا، أتمنى أن تحسني التصرف..

ودعها لأن لديه عملا خارج المدينة، و سيضطر للغياب مدة شهر كامل، قام بتجهيز ما يلزمه من أغراض و قبل مغادرته وقف أمام باب الخروج، و تحدث مع جانيت : أنا أترك آنيا تحت رعايتك لمدة شهر.

استغربت جانيت من كلامه، و قالت : لكن .. اللوحة لن تستغرق مدة شهر كامل.

-في الحقيقة لمَ لا نعقد صفقة؟ أعدك أن أكون زبونك الدائم و أوصي الكثير من معارفي بك شرط أن تصادقي ابنتي آنيا، هل أنت موافقة؟

- أصبح صديقتها؟

-إن آنيا لا تخرج من المنزل كثيرا، و مزاجها متقلب كثيرا، لا أعلم كيف أجعلها سعيدة، لهذا أقوم بتلبية طلباتها دائما، و أريد أن تتقربي منها.

- لكن ما هو سبب اختيارك لي أنا بالضبط؟ أنا رسامة، كان من الممكن أن تجلب لها مربية أو تبحث لها عن فتاة في مثل سنها من الطبقة النبيلة..

ابتسم داني و قال: تحدث معي السيد نيكولاس عن الجهد الذي بذلته لكي تنجحي، و أنا أحب أن أسمع قصص أشخاص شغوفين يبذلون أقصى جهودهم، أليس هذا ملهما؟

أحست جانيت أن عرضاً كهذا سوف يساعد حتى السيد أدريان بأن تصبح ورشته معروفة و يستمر في عمله، و بهذا تستطيع تحقيق حلمها بإسعاد الناس حين يشاهدون لوحاتها، وافقت على شرط السيد داني، وهي تعتقد بأن فهم شخص آخر و جعله سعيداً ليس بالأمر الصعب..

في اليوم التالي توقفت عربة أمام ورشة السيد أدريان لاصطحاب جانيت إلى منزل آنيا في الصباح الباكر، دخلت جانيت المنزل و هي تحمل أدوات الرسم التي بدت ثقيلة عليها فطلب الخادم أن يحملها بالنيابة عنها لكنها رفضت، فقام بإرشاد جانيت على إلى الغرفة التي سترسم فيها جانيت، غرفة واسعة مهيأة للجلوس و فيها نوافذ تطل على أشجار ذات رائحة الليمون، جلست جانيت فوق الأريكة تنتظر حتى دخلت عليها سيدة المنزل وهي زوجة السيد داني وقفت جانيت وقدمت لها التحية، ثم جلستا

كانت سيدة المنزل امرأة لطيفة جدا، و جمالها يبرز في طريقة حديثها الناعمة، انكمشت جانيت في مكانها محاولة إيجاد كلمات مناسبة لتحدث بها بلباقة، فسألت السيدة عن رأيها بابنتها آنيا فأجابت جانيت من دون تفكير أن آنيا فتاة لطيفة،

أنزلت السيدة رأسها، وفقدت ابتسامتها ولم تضف أي كلمة أخرى، بعد لحظات صمت دخلت آنيا بملابس النوم وهي تتثاءب مغلقة العينين، فتحت عينيها ووجدت والدتها تجلس هناك قطبت حاجبيها و دخلت الغرفة متجاهلة والدتها فقالت السيدة : هل تريدون أن أحضر لكم بعضا من الحليب و الكعك؟

-لا تتدخلي في ما لا يعنيك، اذهبي من هنا هذا لا يخصك!!

اعتذرت والدة آنيا و غادرت الغرفة، بقيت جانيت منصدمة مما حدث حتى صرخت آنيا و ضربت الطاولة بيدها :

- اسمعي يا فتاة أنا لن أرضى بعمل كالقمامة، لن أعاملك معاملة خاصة بما انك رسامة!!

ابتسمت جانيت بسبب كلام آنيا لأنها تكره معاملة الناس الآخرين لها، و الآن ستعامل مثل أي رسام عادي، انزعجت آنيا من ابتسامة جانيت و خططت لكي تطردها من المنزل ..

جلست آنيا على الأريكة بكل استرخاء و نادت على الخادمة أن تحضر لها عصير فواكه، حضرت جانيت اللوحة أمامها فوق المسند الخشبي،

في تلك الأثناء أحضرت الخادمة العصير الطازج لآنيا، نظرت جانيت مطولاً لملامح آنيا التي كانت تلعب بشعرها و تشرب العصير، ثم بدأت جانيت بالرسم على اللوح بقلم الرصاص وهي تقول: أحتاج بعضا من المعلومات حتى أرسم لوحة تسعدك.. لذا ماهي الأماكن المفضلة لديك؟

أجابت آنيا بعفوية : لا شيء

استمرت جانيت في الرسم، و سألت مجدداً: و طعامك المفضل؟

-لا شيء

-هممم، ماذا عن شيء تحبين أن تفعليه دائما؟

سكبت عصير الفراولة فوق الأرض، و قالت : أحب أن أفعل أشياء غير لائقة، هل لديك مشكلة مع هذا؟

توقفت جانيت عن الرسم و نظرت إلى آنيا بتمعن، بدأت الخادمة التي كانت واقفة خلف الأريكة بمسح العصير بمنشفة من الأرض بسرعة، تسلل إلى ذهن جانيت منظر والدها الذي احمر وجهه و عروقه كانت بارزة، و بعدها بدأت تتخيل شكل والدتها وهي تبكي سرا في الليل من دون إصدار أي صوت، عم الصمت في الغرفة و ضربت الريح بقوة الأشجار حتى أصدرت صوتا جراء اصطدامها بالنوافذ الزجاجية..

غادرت الخادمة الغرفة، فوقفت جانيت من مكانها أمام اللوحة، و جلست على ركبتيها أمام آنيا، و قالت : فكرت في هذا جيدا، أعتقد أن هذا لا يسبب مشكلة لي أبدا! لكنه يسبب مشاكل للآخرين.

نظرت آنيا لجانيت بانزعاج و نفور، وقفت من على الأريكة و اتجهت ناحية الباب، وغادرت مغلقة الباب بقوة، حتى دخلت الرياح وبعض أوراق الشجر الغرفة، لقد بدأ جو الخريف في التسلل إلى المنزل،

بعد ذلك مر أسبوع من دون أن ترى جانيت الآنسة الصغيرة آنيا، في كل يوم كانت جانيت تصل إلى منزل داني و تدخل غرفة الرسم منتظرة آنيا، لكنها لا تأتي، ثم تدخل الخادمة على جانيت و تخبرها بأن آنيا لا تريد أن تقابلك اليوم،

فتبقى جانيت حوالي ساعتين من الزمن ترسم فيها مسودات، و تفكر في خلفية من أجل اللوحة، و ذات يوم دخلت جانيت إلى غرفة الرسم و وجدت آنيا وافقة تنظر إلى اللوحة و تبتسم، لكن حينما سمعت الباب ابتعدت عن اللوحة فجأة و أخفت إحراجها بالانزعاج، وقالت : تأخرت كثيرا هذا اليوم..

-أنا آسفة، لقد زرت المقبرة هذا الصباح...

-لا يهم، بما أنك تأخرت سوف أعود لنوم.

اقتربت آنيا من الباب ثم فتحته، لكن جانيت تمسك يدها و تقول : لنخرج قليلاً..

نظرت آنيا بدهشة و تردد في داخلها على أن الخروج مضيعة للوقت، لكن جانيت لم تسمع رفضها و سحبتها، جلستا على كرسي تحت الشجرة، و بعد لحظات صمت سألت جانيت: ألا تريدين أن أكمل رسم لوحتك؟

تنهدت آنيا و وقفت من على الكرسي قائلة: لست متأكدة، هذه أول مرة يتم رسمي فيها، أنا حتى لا أعرف كيف ترسمين..

-بالنسبة لي لا أرغب في رسم فتاة مثلك لا تهتم لمن حولها.

ضحكت آنيا و اتجهت نحو الشجرة و بدأت تتسلقها وجلست على غصنها متجاهلة بذلك كلام جانيت، رغبت آنيا في أن تكمل جانيت لوحتها لكن لم تستطع قول هذا بصراحة، وقفت جانيت تحت الشجرة و سألت : هل تحبين تسلق الأشجار؟

تنهدت آنيا، وقالت : لقد مللت من أسألتك المتكررة، و من وجهك المتصلب دائما، ما قصتك؟

عم الصمت و رائحة الليمون الحامض تخنق المكان، أخذت آنيا نفسا عميقا باسترخاء، ثم فقدت توازنها فوق غصن الشجرة فصرخت طالبة المساعدة و سقطت، أسرعت جانيت وقفت تحت الغصن مباشرة و أمسكت آنيا، لكن جانيت لم تتحمل الصدمة ووقعت على الأرض.

أسرع الخدم لحمل آنيا إلى غرفتها بعد أن فقدت الوعي إلى غرفتها و استدعت والدتها الطبيب، و في المساء استيقظت آنيا و فحصها

الطبيب للمرة الثانية، و تم التأكد بأنها بخير فخرج الطبيب من غرفة آنيا و وجد جانيت جالسة أمام الباب، ارتاح قلب جانيت للأخبار التي حملها الطبيب ثم غادر المنزل

بقيت والدة آنيا جالسة على الكرسي بجانب سرير ابنتها آنيا، كانت السيدة تنظر إلى الأرض محبطة و حزينة لم تعرف كيف تتحدث مع ابنتها الصغيرة حتى، و قد كانت آنيا تتناول الطعام بهدوء متجاهلة والدتها، دخلت جانيت الغرفة بعد الاستئذان و سمحت لها آنيا بالدخول، ثم وقفت والدة آنيا و غادرت الغرفة بسرعة بعدما تقدمت جانيت و جلست على الكرسي،

سألت آنيا بقلق على صحة جانيت، فتحت جانيت يدها و نظرت لها و شعرت بالقلق فقالت : أنا.. السبب في ما حدث لك.

ابتسمت جانيت، و قالت : لابأس هذا جرح بسيط، لا يؤلم

-لكن أليست يدا الرسام أهم شيء يملكه؟

-إذا تريدين أن تعوضيني عن ما حصل؟لمَ لا نكون أصدقاء ؟

في الصباح التالي وصلت جانيت إلى المنزل كالعادة، و دخلت غرفة الرسم منتظرة آنيا وهي تنظر إلى أشجار الليمون التي تتسلل رائحتها كل صباح، دخلت آنيا و رحبت بها جانيت بابتسامة و استطاعت بذلك جانيت أن تكمل تفاصيل رسم اللوحة و بدأت في تلوين آنيا، بعد مرور مدة من الزمن تعبت جانيت من التلوين لقد آلمتها يدها، فلاحظت آنيا

ذلك لأن جانيت تتوقف من حين لآخر، و بعدها تكمل و تنظر إلى يدها، فقررت آنيا أن يأخذا استراحة اليوم، جلست جانيت بجانبها.

دخلت والدة جانيت الغرفة و سألت إن كانوا يحتاجون شيئا ما و إن كانت جانيت سوف تتناول طعام الغداء معهم، انزعجت آنيا من دخول والدتها من دون أذنها و تحدثها مع جانيت،

و مؤخرا كانت والدة آنيا تتجاهل ابنتها في كثير من المواقف و لا تستمع إلى رغباتها، وكلما أقامت السيدة حفلا جمعت فيه صديقاتها، أو ذهبت إلى مناسبة ما، لا تأخذ آنيا معها بحجة أنها لا تزال فتاة صغيرة و كان هذا يزعج آنيا كثيرا لأنها تضطر للبقاء وحيدة في المنزل و منذ ذلك الحين وهي تسيء معاملة والدتها، بقيت آنيا منزعجة وهي تنظر إلى والدتها التي تتحدث مع جانيت حتى غادرت الغرفة، و قالت جانيت من دون وعي منها : انت محظوظة جداً.

وقفت آنيا من مكانها و اتجهت نحو اللوحة ونظرت إليها، لماذا انا محظوظة برأيك؟

-لديك أم و أب و تعيشين معهما في منزل جميل كهذا، و هما يقلقان من أجلك، أليست هذه جنة ؟

تنهدت آنيا و لمست لوحة جانيت : أخبريني عن والديك..

-كنت أعيش في قرية بعيدة مع شخصين، قمنا بتمثيلية صغيرة الرجل و زوجته و أنا كنت ابنتهم الوحيدة، لكن اتضح أنهما ليسا عائلتي، لكن...

دمعت عينا جانيت حينما تذكرت تلك المرأة ذات الشعر الأحمر وهي تحتضنها و تقول لها : سوف أحميك لا تخافي.

-إن طيف أمي يحرسني دائما، لكنه بعيد جداً، و أما أبي لم أعرفه أبدا

أنزلت آنيا رأسها بحزن، و لم تعرف ما تقوله لجانيت عم الصمت لحظات و وقفت جانيت من مكانها مبتسمة، و قالت : يجب أن أعود للورشة لدي أعمال مع السيد أدريان، لنكمل غدا العمل معاً، اتفاقنا

بادلتها آنيا الابتسامة و هي شاردة الذهن، و تفكر في أن ما فعلته مع والدتها لم يكن تصرفا جيداً..

اعتاد السيد داني أن يبقى مع ابنته في غرفتها و يحكي لها قصصا حتى تنام في الليالي الممطرة كهذه، و أن يطمئنها عندما يضرب الرعد، خافت آنيا كثيرا وهي جالسة في سريرها وحيدة تشاهد ضربات أغصان الشجر على النافذة بفعل الرياح و الأمطار في غرفتها المظلمة، حتى صرخت من قوة صوت الرعد، ففتحت والدتها باب الغرفة على عجل حين سماعها صوت آنيا و احتضنتها قائلة: لا تخافي يا ابنتي، أنا معك.

وفي الصباح التالي استيقظت آنيا و وجدت والدتها نائمة وهي جالسة على الأرض و تسند رأسها على طرف سرير آنيا، وقفت آنيا من على سريرها و نزلت للمطبخ لتناول طعام الفطور، وصلت جانيت إلى المنزل و دخلت غرفة الرسم كالعادة جلست أمام اللوحة حتى تنتهي من التلوين،

بعد نصف ساعة دخلت آنيا بفستان زهري اللون يشبه لون عينيها، تفاجأت جانيت من جمالها و خطر على بال جانيت فكرة من أجل إكمال اللوحة، فطلبت من آنيا أن تترك أمر الخلفية لها فوافقت على هذا ..

مرت الأيام و كل يوم حينما تنتهي جانيت الرسم صباحا، تعود إلى الورشة لتقدم المساعدة إلى السيد أدريان في عمله، و ذات يوم طلبت آنيا من جانيت أن تبقى معها قليلا و أنها تريد التعرف على جانيت أكثر، حملت جانيت القطعة القماشية الكبيرة و بيضاء اللون و قامت بتغطية اللوحة، و تركت كل شيء في مكانه، وذهبت مع آنيا إلى الحديقة، جلستا و سألت آنيا جانيت عن ما تستطيع تقديمه آنيا لوالدتها في عيد ميلادها، احتارت جانيت أيضا لأنها لم تقدم هدية من قبل، و لا تملك فكرة عن هذا الموضوع،

سألت جانيت : لكن إذا قررت أن تهدي شيئا تحبه والدتك و تكون مفاجأه سيكون غريبا لو سألتها أنا عن ما تحب..

-هذا صحيح، إذا ماهو الحل؟

-اسألي كبيرة الخدم في المنزل، لابد أنها تعرف والدتك جيداً،

تفاجأت آنيا من اقتراح جانيت : مستحيل .. لا، لن أستشير خادمة..

نظرت جانيت بحزم إلى عيني آنيا : أليس من الأفضل أن تتوقفي عن تصرفاتك الغير لائقة،أ أن هذه أفضل هدية لوالدتك..

لحظات صمت جعلت آنيا تفكر قليلا، و استغربت من جانيت لما قد تهتم جانيت لأمر الخدم؟، فأخبرتها جانيت أن أول صديقة لها تعمل خادمة، و قد تعرفت عليها في منزل السيد ألبرت الخاص بالخادمات.. تحدثت جانيت أكثر عن صديقتها ناومي، و أن الحياة لم تكن سهلة أبدا،

شعرت آنيا بالسوء، لهذا قررت أن تتوقف عن أفعالها الغير لائقة تجاه بقية الخدم، فذهبت لكبيرة الخدم و اعتذرت لها في البداية فربتت الخادمة على رأس آنيا، وأخبرتها بأنها في مقام ابنتها، بعد ذلك سألتها عن ما تحبه والدتها و قدمت لها مجموعة من الاقتراحات، في النهاية أهدت آنيا لوالدتها رسمة رسمتها بنفسها، و قد علمتها جانيت بعضا من أساسيات الرسم، عندما شاهدت آنيا سعادة والدتها باللوحة أحبت الرسم كثيراً

وصل اليوم الذي عاد فيه السيد داني إلى المنزل، تفاجأ حينما وجد زوجته و ابنته قد أقامتا حفلا خاصا للترحيب به و قامتا بطبخ طعام العشاء له، و آنيا قدمت له رسمة،

في اليوم التالي أتت جانيت و رحبت بالسيد داني أيضا، ثم جاءت آنيا مسرعة و أمسكت يد جانيت وهي تبتسم، لأن اليوم هو الذي سوف تضع فيه جانيت اللمسات الأخيرة على اللوحة، لم يتوقع داني تطور علاقتهما لهذا الحد، فما كان يستطيع فعله هو الابتسامة، ابتسم طوال النهار في تلك الأجواء السعيدة حتى شعر بألم في خده..

انتهت جانيت من اللوحة و أغلقت آنيا عينيها، ثم وضعت جانيت اللوحة أمامها، ثم فتحت عينيها و إذ برائحة زهرة بوفاريدا البيضاء تجتاحها، كانت اللوحة لآنيا وهي تحمل مجموعة كبيرة من هذه الزهور في باقة و بفستانها البنفسجي الجميل، اندهشت آنيا من دقة و جمال اللوحة أعجبت كثيرا بالخلفية التي كانت النافذة الكبيرة الخاصة بغرفة الرسم التي تطل من خلالها على حبات الليمون الحامض، استمرت آنيا في النظر إلى اللوحة وهي تدرس تفاصيلها ..

بعد أيام أتى إلى الورشة زائر، كان السيد داني مع آنيا ليقوم بدعوتهما للحفل، و اشترت آنيا فستانا لجانيت تعبيرا عن حبها، و تم إقامة الحفل و دعوة جميع النبلاء، و علقت آنيا لوحتها وسط صالة الحفل حتى يشاهدها جميع المدعويين، و يعرفهم السيد داني على الرسامة جانيت، استغرب الجميع من أن الرسامة فتاة و مكتوب على اللوحة التوقيع "جان"، لكن بعض من الحضور أعجب باللوحة، و فكر بحجز موعد حتى يزور ورشة السيد أدريان من أجل تكليفه بعمل، و رغم محاولات إيلين إقناع إدوارد بالذهاب للحفل لكنه لم يلب دعوة السيد داني و بذلك لم ترغب إيلين في الذهاب بمفردها..

حصلت جانيت على وظيفة وهي تدريس آنيا الرسم لأنها أصبحت تحلم بأن تكون مثل جانيت في المستقبل، رسامة محترفة و تسعد الناس بلوحاتها، لم يعارض والدها السيد داني أو زوجته على حلم ابنتهما، بل قدما لها كل الدعم، حينها استمر عمل الورشة في الإزدهار و لوحات

جانيت التي تحمل توقيع جان عرف أنها رسام فتاة، رغم هذا وأصبحت لوحاتها معروضة في كل معرض فني و في كل مزاد علني،

حققت جانيت مبالغ كبيرة من الرسم حتى أنها لم تعرف ما تفعل بها، ثم خطر على بالها فكرة، اشترت ملابس جميلة و أفضل العطور و كثيرا من الحلويات الفاخرة، و اتجهت لمنزل الخادمات قدمتهم إلى الفتيات هناك ففرح الجميع بها، احتضنتها الآنسة كلارا و الدموع في عينيها ندما على تصرفاتها.

و في تلك الأثناء أصبحت شهرة جانيت تصبح أوسع.

تقوقع إدوارد وظل عالقا في القصر لدرجة أن جميع محاولات دافين و إيلين بجعل إدوارد يخرج و يعود لطبيعته لم تنجح، فهو لم يغادر القصر لمدة عام كامل، و لم ير وجه والده إلا نادراً و بالصدفة في القصر، و أما باتريك دائما ما يرغب بالتحدث مع إدوارد، و يريد الدخول لغرفته، لكنه يتجاهله و لا ينظر إلى وجهه حتى، و لا ينطق له بحرف، رغم اقتراب عيد ميلاد ادوارد الثامن عشر ، سيتم إقامة احتفال كبير لبلوغ ولي العهد سن البلوغ .

و قبل ميعاد الحفلة بيومين، استدعى الملك ابنه إدوارد عنده في الغرفة الخاصة بالاجتماع مع بقية الوزراء و المستشار الملكي ألفريد، لكن كانت الغرفة فارغة و كان الملك يجلس على رأس الطاولة الكبيرة، و التي احتوت على كثير من الكراسي، وقف إدوارد بعيدا عن والده

وهو ينظر إلى الأرض، فضرب الملك بقوة على الطاولة، و وقف من على الكرسي و قال :

-ألم يحن الوقت بعد لتصبح رجلا أستطيع أن أفخر به؟ إلى متى سوف تستمر بالتصرف هكذا؟ ألم تشعر بالملل؟

بقي إدوارد صامتا من دون أن يرفع عينيه، بعد لحظات بدأ الملك يمشي متجها نحو إدوارد، و قال : حفل بلوغك بعد يومين، و أنت تعلم ما هو أكثر شيء يزعجني..

اقترب الملك من إدوارد و همس له: إذا اخطأت، أنا سوف أقتلك

بقي إدوارد ينظر إلى الأرض بعيون فارغة تماما، كانت غرفة الاجتماعات مظلمة جدا بستائر سوداء، و التي كانت تمنع نور الشمس من الدخول، و الجو ساكن بلا حراك، عاد الملك يمشي ببطء حتى وصل لكرسيه و وقف خلفه، وقال :

-أسمع جيدا، يجب أن تقوم بدورك كولي للعهد، فأنت ابن الملك بعد كل شيء، لا يحق لك تخريب السيناريو الذي وضعته للحفل..

بعد لحظات صمت أجاب إدوارد : حاضر

ذهب إدوارد إلى غرفته من دون أن يتحرك له جفن، لم يفكر كثيراً في كلام والده، فكر فقط في كيفية التصرف يوم حفلة بلوغه، بعد ذلك سمعت إيلين من دافين أن إدوارد سيحضر ذلك الحفل، فركضت

عنده على عجل، دخلت إيلين إلى غرفة إدوارد و أصرت عليه أن يذهبا معا للتسوق و تختار له ملابس بنفس لون فستانها، لم يكن ادوارد مركز على كلامها و وافق من دون أن يشعر، متسائلا هل هذا ما يريده الملك أيضا يا ترى؟

وفي أحد محلات بيع الملابس الرجالية الفاخرة جلست إيلين تنتظر إدوارد وهو يغير ملابسه حتى تتأكد بأنها على مقاسه، كانت سعيدة، فشعرت بأنها تستنزف جميع حظوظها في هذه الحياة دفعة واحدة، و بجانب المحل بقيت ناومي خادمة إيلين مع فليكس الذي كان يقود العربة واقفين أمام العربة، فقال فليكس محاولا أن يبدأ الحديث مع ناومي : أنا معجب بك..

يحمر وجه ناومي و تنظر إلى الأرض و تقول مترددة: ما الذي تقوله فجأة؟

-نعم، هذا عجيب لم أسمع من قبل عن فتاة تستمر في العمل عند الآنسة إيلين كل هذه الفترة، إنها سنتان تقريبا تستحقين الثناء، أنا معجب بقوتك و صبرك.

ابتسمت ناومي، ثم نظرت إلى الغيوم الرمادية و قالت : لدي صديقة، تعمل بجد ليل نهار و كل هذا لتحقق حلمها، أنا لم أفعل شيئا يستحق الثناء، ثم إن الآنسة إيلين ليست شخصا سيئا لتلك الدرجة، إنها تعاني بطريقتها الخاصة..

و جاء يوم الحفل و جميع أهل المدينة يتحدث عن الحفل، كان إدوارد واقفا أمام لوحة جانيت بعيونه الميته و الحزينة وقد أغلق دماغه عن جميع الأصوات الخارجية، دخلت إيلين فجأة على إدوارد، و قالت بكل حماس: لدي مفاجئة لك هذه الليلة.

-حسنا.

-إنه شيء من المؤكد أنك تحبه كثيرا.

مرت ساعات الصباح بسرعة و حل المساء أخيراً، لبس إدوارد ملابسه و كذلك ارتدت إيلين فستانها، كانا مثل زهور البابونج فستان أبيض و مطرز باللون الأصفر و كذلك ملابس إدوارد، اتجهت ايلين لتفقد قاعة الحفل لعل هناك شيئا ناقصا برفقة ناومي، و بدأ الضيوف في الدخول إلى القصر، أسرعت إيلين إلى غرفة إدوارد و أرادت أن تنزل معه لتحية الضيوف، لكن وجدت ألفريد واقفا أمام غرفته، أخبرها بأن تنزل وهو من سيقوم بإحضار إدوارد، استجابت إيلين لكلامه، ثم دخل ألفريد على إدوارد الذي كان واقفا وسط غرفته شارد الذهن، و أمامه كرسي فوقه لوحة جانيت، اقترب ألفريد منه و قال: سيدي الصغير، ترى ما يشغل بالك؟

حمل إدوارد قطعة قماش بيضاء من على الأرض و غطى بها اللوحة و قال بعيون فارغة تماما : لا شيء، أبدا أنا أحاول التخلص من..

وصمت إدوارد فجأة، بعد لحظات صمت تنهد الفريد، ثم قال : من الماضي؟ هذا شيء مستحيل سوف تظل صور الماضي متعلقة بعينيك، و يظل قلبك مسكنا لها..

دخل دافين الغرفة و تفاجأ بألفريد واقفا هناك : هذه أول مرة تدخل فيها إلى غرفة إدوارد، هل هناك أمر طارئ ؟

ابتسم ألفريد : لا، أنا فقط مضطر للعودة إلى المنزل لأن زوجتي حامل و من المحتمل أنها سوف تنجب الليلة.. و قد فكرت بالمرور على سيدي الصغير لتهنئته على بلوغه الثامنة عشرة من عمره قبل مغادرتي..

حملق دافين فيه بإنزعاج، وقال لنفسه: أنت تثرثر كثيرا..

رد إدوارد عليه و قد اختفى البريق من عينيه: حسنا، شكرا لك يمكنك الذهاب.. لكن إذ كانت المولودة فتاة، هل يمكنك أن تسميها جانيت؟

غادر ألفريد و أصبح الجو بين إدوارد و دافين باردا، هل كان بسبب الغيوم و النسمات الباردة، أم بسبب مشاعرهم التي أصبحت ضبابية فجأة؟ نظر دافين إلى الجدار و لم يجد اللوحة ثم لاحظ أن اللوحة تحت الغطاء فوق الكرسي و قال : لماذا؟..

قاطعه إدوارد بكلمات ثابتة لا تتزعزع، و من دون أن يشيح نظره عن اللوحة : تخلص منها حالا..

نزل إدوارد إلى قاعة الحفل، تجول و ألقى التحية على الضيوف، وجد السيد داني و آنيا و زوجته، التقت آنيا بإدوارد وتحدثت معه، لكن لم يكن إدوارد يتفاعل معها، ثم قالت آنيا بشيء من السخرية وهي تنظر إلى إيلين: إذا تريد القول بأنك أصبحت مشغولا جدا.

أخذت إيلين بيد إدوارد و ابتسمت، بقيت آنيا تنظر إليهما بانزعاج و تقول لنفسها : من المأكد أن الأفعى إيلين هي من قامت بفعل شيء له حتى يستمع إلى كلامها فقط، لأن إدوارد الذي أعرفه لا يتصرف هكذا أبدا،

بعد لحظات دخل الملك و جلس على كرسيه وجه جميع من في القاعة من حضور نظرهم إلى الملك بعد أن أشار للفرقة الموسيقية التوقف عن العزف، تحدث الملك عن وصول ابنه الأكبر إدوارد إلى سن البلوغ و ترشيحه إياه لمنصب الملك القادم، وفي أثناء ذلك الحديث كانت الملكة وافقة خلف ابنها باتريك، وهي تربت على رأسه و تبتسم، ثم أشار الملك إلى الفرقة الموسيقية لتستأنف العزف،

أمسكت إيلين يد إدوارد و سحبته حتى وقفا في منتصف قاعة الحفل، و وضعت يدها على كتفه، و نظرت إلى عينيه مباشرة، فتحرك من دون أن يشعر و وضع يده على ظهرها، و أمسك بيدها الأخرى، و أخذت ألحان الموسيقى في تحريكهما حول المكان و جميع الأنظار عليهما،

كان الوقت ينساب ببطء كالنهر بالنسبة لإدوارد الذي لم يستطع أن يشيح نظره عن إيلين أبدا، و كان كل تفكيره متى ينتهي كل هذا؟

فجأة أصبحت جميع وجوه الضيوف سوداء اللون و من دون ملامح، حتى إيلين اختفت ملامحها فجأة، لون أسود يرعب القلب، انتهت الحفلة الراقصة بتوقف الآلات الموسيقية عن العزف، و التصفيق الحار على رقص الملك و الملكة المستقبليين،

بعد ذلك بدأ لحن مريح للأذن بواسطة آلة البيانو، ثم بدأ الضيوف يتبادلون أطراف الحديث، وقف إدوارد وإيلين أمام طاولة من الطاولات، لكن فجأة و من بين جميع الضيوف انتبه إدوارد لجانيت التي كانت تقف بجانب طاولة بعيدة عنهما.

تاركة شعرها منسدلا على ظهرها و قد ظفرت جانبيه و أشبكته بمشبك عليه وردة بيضاء، بفستانها الذي يصل لركبتيها بلونه الأحمر الداكن الذي أبرز لون بشرتها النقية، أقنع إدوارد نفسه بأنه يتخيل فحسب و عيناه لم تتركا جانيت ولو للحظه، نظر إلى ابتسامتها و لاحظ بأنها كانت تنظر إلى قدميها من وقت لآخر لأن الحذاء قد آلمها،

{5}

طرب داخل قلبي

تركت إيلين إدوارد لوحده بعد أن حاولت معه و طلبت منه أن يرافقها لتتحدث مع والدها، لم يشح إدوارد نظره عن جانيت استمر في التهامها بعينيه حتى غضبت، فذهبت و تركته وحيدا، فأخذ يغذي بصره الجاف، حتى عادت عيناه للحياة من جديد و استطاع رؤية جميع ملامح من في قاعة الحفل..

حتى اكتشف أن جانيت واقفة بجانب دافين وأدريان.. ثم قال إدوارد لنفسه مستغربا :

-دافين؟ لماذا يتحدث مع جانيت؟ هل سيقوم بإخبارها بأني تخلصت من لوحتها؟ لماذا هما يتحدثان معا و هو ينظر إلي و يبتسم تلك الابتسامة المستفزة على وجهه؟

و من دون أن يشعر إدوارد أنه يقترب منهما و بخطوات خفيفة، لمحه دافين فوقف بجانبه و قدم له جانيت على أنها رسامة، فمسكت جانيت بطرف من فستانها و انحنت ثم قالت : تشرفت بلقائك مجدداً سيد إدوارد.

تجمد الدم في عروق إدوارد و يحاول الحديث، لكن لا يعلم ماذا سيقول.. كان ينظر إلى جانيت لم يشح نظره عنها، فأشار دافين له أن يقدم نفسه هو أيضا، ففعل ذلك لجانيت و أدريان، و قدم أدريان نفسه،و وسط تساؤلات كثيرة داخل دماغ إدوارد، اعتذر أدريان بأنه سيذهب إلى الحمام و غادر، ثم قال دافين : صحيح.. كانت الحفلة الراقصة جميلة و هادئة، و قد كنت مع خطيبتك الآنسة إيلين رائعين جدا، ما رأيك بهذا يا جانيت؟

نظرت جانيت إلى إدوارد وهي تتساءل متجاهلة كل شيء : خطيبتك؟

إدوارد : حسنا .. إنها..

قاطعه دافين بصوت عال: نعم إن الآنسة إيلين خطيبة السيد إدوارد، ألم تسمعي ماقاله الملك قبل بداية الرقص؟

جانيت : لا، لم أسمع، أنا لا أسمع الأصوات البعيدة، إذا هل أنت حقا تمتلك خطيبة الآن ؟

تردد إدوارد في الإجابة عن سؤالها، لأنه إذ صرح بأن إيلين خطيبته سوف يبدو أنه يحب إيلين و لا يهتم لأمر جانيت، أراد أن يتحدث معها على انفراد، اقترب منها، لكنها عادت خطوة للخلف فأخذ خطوة أخرى لكنها عادت هي كذلك، حتى فقدت توازنها بسبب الكعب العالي، فأسرع و وضع يده خلف ظهرها لكي يمنعها من السقوط، فتعثر إدوارد بسبب

سماعه صوت إيلين وهي تنادي عليه فسقط فوق جانيت و سقطا على الأرض.

تسمرت جانيت في مكانها بعد أن شاهدت وجه إدوارد عن قرب، في تلك اللحظة احمر وجهها، حتى إدوارد انتابه نفس الشعور و لم يفكرا في شيء بتلك اللحظات القصيرة.

ضحك دافين ضحكة مكتومة مما شاهده للتو، و وقف إدوارد بسرعة بعد أن سمع صوت إيلين مرة أخرى، شاهد بعض من الحضور ما حدث، عرف البعض منهم جانيت لأنها رسمت لوحات كثيرة، لكن إيلين لم تتعرف عليها، نظرت جانيت إلى الأرض ممسكة بفستانها بكلتا يديها من شدة التوتر حتى اقتربت منها إيلين، و نظرت في وجهها عن كثب، فقاطعها إدوارد محاولا أخذ إيلين بعيدا، لكنها بقيت ملتصقة بجانيت تنظر إليها فسألت دافين : من تكون هذه الفتاة؟

-إنها الرسامة "جان" التي طلبت مني أن أقوم بالبحث عنها و دعوتها للحفل من أجل أن ترسم لإدوارد لوحة.

صرخت إيلين في وجه دافين : مستحيل!! هل تمزح معي؟

قاطعها صوت شقيقها الأكبر الذي كان يقف خلفها مبتسما : إيلين ألم تعرفي بأنها فتاة؟ نعم إنها رسامة..

ثم اقتربت آنيا و والدها داني، و أصرت آنيا على أن جانيت أعضم رسامة قد شاهدت لوحاتها من قبل، وقف إدوارد أمام جانيت ونظر إلى إيلين : نعم وهي من رسم اللوحة المفضلة لدي..

لم تجد إيلين ما تقوله، حتى جاء أحد خدام الملكة و طلب من إيلين مرافقته لأن الملكة تحتاجها في أمر مهم، ثم غادرت و الإحباط يخنقها بشدة، اقترب أدريان من جانيت واستفسر عن سبب هذا الجو الغريب، و لمَ بقي الضيوف ينظرون إليهم؟ لم تستطع جانيت فتح فمها و الحديث، ثم ركضت متجهة نحو المخرج، التفت أدريان و كان يريد أن يتبعها، لكن إدوارد أمسك بيده و طلب منه أن يسمح له بإعادتها إلى الحفلة..

في منزل السيد ألفريد بعد نجاح ولادة زوجته إيفا وحصولهم على طفلة بجمال والدها، كان في دماغ إيفا كثير من الأسماء احتارت ماذا تختار منهم فسألت ألفريد، فأجابها بأن إدوارد اقترح عليه اسما وهو جانيت، فوافقت إيفا على الاسم لأنها كانت حفلة عيد ميلاد إدوارد.

حمل ألفريد ابنته جانيت مستغربا أن الاسم لم يكن غريبا عليه، وهو يتذكره جيدا، لكن كل ما شغل باله بعد رؤية وجه ابنته النائمة أنها كانت جميلة جدا و رقيقة، ويجب عليه أن يعيش حياته ليحميها و يحبها...

وفي القصر جلست جانيت في الحديقة التي يضيئها ضوء القمر، اقترب إدوارد و جلس على الكرسي بجانبها، اعتذر عن الحادث و بدا محبطا..

حتى ابتسمت جانيت و نظرت إليه، كانت تضحك بداخلها على ذلك الموقف، ثم سألته: هذه حفلتك و عيد ميلادك و أنت لست بداخل ؟

غرق إدوارد في ابتسامتها، و لم يشح نظره عن عينيها التي كانت بلون بحر هائج منعكس عليها ضوء القمر، كررت جانيت سؤالها فرد عليها بتعلثم: عيد ميلاد من؟ من صاحب الحفل؟

عم الصمت قليلا، و إدوارد محرج، ولم يستطع النظر في عينيها مرة أخرى، حتى سألته جانيت : أنت لاتزال تحتفظ باللوحة التي رسمتها لك منذ سنتين؟

لم يعلم أدوارد ما يقوله، نظر هنا و هناك بحثا عن إجابه حتى لمح دافين من بعيد وهو يبتسم و يلوح له، فعرف أن دافين لم يتخلص من اللوحة و ارتاح لرؤية ذلك، فطلب من جانيت أن ترافقه إلى غرفته حتى ترى اللوحة، فرافقته..

دخلت إلى غرفته لتجد لوحتها معلقة على جدار الغرفة الزرقاء، تنهد إدوارد وهو مرتاح البال، لأن دافين لم يستمع لكلامه و يتخلص من اللوحة، قالت جانيت : أن هذه اللوحة ممزوجة بالدماء و الخيانة..

في الصباح التالي اتجه إدوارد و دافين إلى ورشة أدريان، شاهد إدوارد بإعجاب كبير لوحات جانيت، فجلس و تحدث مع أدريان، و طلب منه أن ترسم جانيت لوحتين له، وأنها سوف تعيش في المنزل المخصص للخدم بالقرب منه من أجل عملها بخصوص اللوحات..

استيقظت جانيت و نزلت من غرفتها لتجد إدوارد أمامها مباشرة، حكى لها أدريان عن رغبة إدوارد و انتظر منها موافقتها، ترددت جانيت في الموافقة خوفا من أن يبقى أدريان وحيدا، و عمل الورشة كله على عاتقه، لكنه طمأنها بأنه سوف يكون بخير لأنه معتاد على العمل بمفرده.

في اليوم التالي جاءت عربة من القصر إلى ورشة أدريان حتى تنقل جانيت و أغراضها إلى القصر، وصلت العربة إلى أمام القصر نزلت جانيت و وجدت فليكس واقفا أمام البوابة، فلم يتمالك نفسه بعد أن شاهد جانيت تنزل من العربة، فعانقها بقوة و عبر عن افتقاده لها.

فرحت جانيت لأنها استطاعت أن ترى فليكس، اتجها إلى المنزل المخصص للخدم، وفليكس يحمل حقيبتها، و جانيت تحمل أدوات لرسم، وفي الحديقة رأت الآنسة إيلين جانيت مع حقائبها فقطبت حاجبيها.

طلب إدوارد حضور جانيت إلى غرفته، سألها إذا كانت تشعر بالارتياح في غرفتها الجديدة و إذ احتاجت أي شيء يمكنها طلب ذلك من دافين، بعد حديث عادي و رسمي دار بينهما تردد إدوارد في البداية لكنه فتح فمه وسأل: هل تعرفين فليكس؟

-لقد كان يعيش في قرية لاريسا أيضا، نحن نعرف بعضنا البعض.

بدأ إدوارد ينظر هنا و هناك بحثا عن كيف يطرح سؤاله.. ماعلاقتك به؟ أنتم أصدقاء فحسب؟.. تراجع عن فكرة طرح السؤال و طلب من جانيت أن تتبعه، صعدا الدرج إلى الطابق العلوي في القصر.. فتح إدوارد تلك الغرفة، دخلت جانيت و أحست بعيون كثيرة موجهة إليها، كانت قاعة ضخمة جدا مليئة باللوحات لشخصيات من العائلة الملكية أعجبت جانيت باللوحات كثيرا، ثم سألت عن سبب تواجدها هنا .. أجابها إدوارد مبتسماً: لوحتك .. سوف تعلق هنا!!

ثم أخذت جانيت جولة في القاعة تشاهد اللوحات هناك وفجأة توقفت عن الابتسامة، و أحست الأسى يغمر صدرها، حينما وقعت عيناها على لوحة معلقة هناك، كانت اللوحة للملك جالسا على كرسيه و الملكة واقفة خلفه و ابنهم باتريك واقف بجانب الملك..

فجأة تسمع صوت إيلين تتحدث مع إدوارد أمام باب الغرفة، كانت إيلين ترفع صوتها و تدعو إدوارد بخطيبي وأمسكته من يده و سحبته بعيدا وذهبا معا، وضعت جانيت يدها على صدرها بعد أن أحست بوخز فيه، ثم ابتسمت بصعوبة، وقالت لنفسها : أنا سعيدة لأنك لست وحيدا الآن..

خرجت إيلين و إدوارد لحديقة القصر، و بقيت إيلين ممسكة بيد إدوارد، فسحب يده بعنف، وقال : مابال تصرفاتك هذه؟

أشبكت يديها مع بعضهما، و بدأت تتلعثم في الكلام: نحن.. تم إعلان خطبتنا .. أليس من المفترض أن نقضي وقتا أطول معا؟

تجاهل إدوارد كلماتها وهو يشعر بالذنب، بدأ يستخرج حجة وألف حجة أن لديه أعمالا جديدة تضاف إلى جدوله، وأنه سوف يكثف دروسه من الآن فصاعدا، و الوقت الآخر يجب أن يقضيه مع جانيت من أجل أن ترسم لوحته، لم يستطع إدوارد النظر في عيني إيلين أبدا.

في اليوم التالي خصص دافين غرفة في القصر من أجل أن ترسم فيها جانيت غرفة قريبة من غرفة إدوارد، وضع فيها مسندا خشبي كبيرا، وعليه لوحة كبيرة ومقابل له كرسي فاخر، و حوافه مزخرفة بالذهب، جلست جانيت بجانب اللوحة تنتظر إدوارد الذي كان في غرفته..

بعد لحظات من انتظار جانيت دخل الغرفة عليها، جلس على الكرسي المقابل لجانيت و رمى رداءه بيده حتى لا يجلس عليه كان صوت العصافير التي تدخل من النافذة تغطي على الجو الساكن..

بدأت جانيت في رسم اللوحة و العمل عليها يتقدم يوما بعد يوم، و كان إدوارد يقضي مع جانيت النصف الأول من اليوم، استمر هذا الوضع لمدة أسبوعين حتى بدأت إيلين بالغضب لأن إدوارد لم يهتم لأمرها أبدا.

كان همه الوحيد.. كيف يستطيع أن يستمر في حبها؟ وكيف يستطيع العيش من دونها؟ لكن يتراجع عن هذا كلما تذكر إيلين، حتى سأل دافين بشأن هذا معتقدا أنه سيجعله يتراجع عن حب جانيت، لكنه انصدم عندما سمع كلامه: مقدر لك أن تحبها، هذا يعني بأنه مقدر لك أيضا أن تقدم تضحياتك من أجل هذا الحب..

كان قلب إيلين يحترق كل مرة ترى إدوارد يبتسم فيها لجانيت، وأخيرا قررت ورددت في داخلها:

-سوف آخذ روحك بيدي، مثلما اخذت مني حلمي، نعم هذا ليس عدلا منذ أن فتحت عيني على هذه الحياة، حفر الجميع في دماغي وقلبي بأنني فتاة إدوارد، وأنني الملكة الصغيرة..

وضعت إيلين رداء على رأسها، و خرجت من القصر مسرعة تبعتها ناومي، لكن لم تستطع إدراكها وسط الحشد في سوق العاصمة، بدأت إيلين تبحث هنا وهناك حتى عرضت عليها إحدى العجائز التي تملك محل عقاقير أن تتفقد محلها فدخلت عندها، وبعد مدة عثرت ناومي على إيلين و اتجهتا نحو القصر، بقيت إيلين ممسكة بكيس ورقي صغير بيدها بكل قوة وبقيت فقط جالسة في غرفتها على غير عادتها.

حل المساء و طلبت إيلين من ناومي أن تغادر لترتاح،و اتجهت إلى المطبخ، أعدت شايا أخضر، و وضعت معه بعضا من البسكويت، ثم نظرت هنا و هناك، و فتحت الكيس وأفرغت محتواه في كوب الشاي، و يدها ترتجف..

حملت الصينية و اتجهت إلى منزل الخدم حيث غرفة جانيت،طرقت باب غرفة جانيت، ففتحت لها الباب و استقبلتها، دخلت و نظرت من حولها و وجدت لوحات كثيرة غير منتهية، رسمت عليها إدوارد،أحست وكأن إدوارد يراقبها و سوف يغضب منها إذا علم ما فعلته ..

كانت غرفة صغيرة تحوي خزانة، و سريرا و كرسيتا، أمامه طاولة صغيرة، وضعت إيلين الصينية على الطاولة الصغيرة و جلست على الكرسي، ثم ابتسمت لجانيت و بادلتها جانيت بالابتسامة،وطلبت منها أن تستمتع بالشاي

شكرتها جانيت و أخبرتها بأنها لن تستطيع النوم إذ شربته و سوف تتناول البسكويت فقط، غضبت إيلين، فوقفت من مكانها و أمسكت كوب الشاي، واقتربت من جانيت محاولة جعلها تشربه بالقوة.

رفضت جانيت مجددا حتى دخلت ناومي و أمسكت الكوب من يد إيلين و رمته بقوة على الحائط حتى انكسر الكوب و تناثر الحطام على الأرض، و سال الشاي على لوحة إدوارد.

في الصباح التالي استيقظت ناومي من النوم على أرضية الإسطبل على صوت فليكس، عندما رأته بدأت تبكي بشدة مرر فليكس يده من بين الألواح الخشبية و ربت على رأسها، ثم قرر أن يتحدث مع إيلين و يطلب منها أن تسامح ناومي، لكن منعته بحجة أنها هي المخطئة، وكان بإمكانها شرب الشاي بنفسها لتوقف ذلك الموقف،

في ذلك الصباح اتجهت جانيت إلى غرفة الرسم كالعادة لكن وجدت إيلين واقفة أمام الباب همست في أذنها : إذا كنت تهتمين لأمر صديقتك ناومي لا تخبري إدوارد بما حدث ليلة أمس..

نظرت إيلين إلى يد جانيت التي كانت ملفوفة بالضماد و أمسكتها بقوة حتى تألمت، استدارت إيلين بسرعة بعد أن سمعت صوت إدوارد يسأل عن سبب حضورها إلى هنا في هذا الوقت المبكر.. رفعت يد جانيت بحذر و قالت له : جئت لأطمئن على حال جانيت بعد أن سمعت أنها قد أوقعت كوب الشاي وجرحت يدها..

تفاجأ إدوارد و أمسك بيد جانيت برفق، و نظر إليها وسألها إذا كانت تؤلمها ام لا.. و أنها تحتاج إلى يوم راحة من الرسم حتى يتحسن جرحها، التصقت إيلين بإدوارد و قبلته على خده وقالت : هيا يا عزيزي، بما أنك متفرغ هذا الصباح لمَ لا نخرج مع بعضنا هذا اليوم؟

وافق على فكرتها و ابتسم لها، نظرت جانيت إلى الأرض و اعتذرت، ثم غادرت القصر بسرعة، كان إدوارد سيلحق بها لكن إيلين منعته، فطلب منها أن ترتدي شيئا جميلا من أجل أن يخرجا معا.. فرحت إيلين كثيرا و أسرعت إلى غرفتها، ثم اتجهت جانيت إلى فليكس، نزلت دموعها رغما عنها ثم أمسكت يده وسألته عن مكان ناومي، ذهبا إليها و اعتذرت جانيت إلى ناومي عن ما حدث..

لكن فجأة يقف ادوارد خلفهما، تسمر في مكانه حينما وقعت عيناه على جانيت وهي تبكي، لم يفكر في أي شيء سوى قتل من تسبب في حزنها، وقال : أريد تفسيراً لما يحدث هنا.. حالا.

بقيت جانيت جالسة على الأرض و ممسكة بيد ناومي..

حكى فليكس لإدوارد ماحدث ليلة أمس، غادر المكان بعد أن أمر الحارس الواقف أمام الإسطبل بأن يفتح الباب ويخرج ناومي،

دخل إدوارد على إيلين في غرفتها وهي ترتب شعرها من أجل الخروج معه، نظرت إليه و ابتسمت، وطلبت منه أن ينتظر قليلا ريثما تنتهي، واجهها بحقيقة مافعلته، فتجمدت ملامحها و ارتعشت يداها فجأة فسقطت زينة شعرها، لم تفارق نظرات خيبة الأمل من عيني إدوارد ثم أخرج من فمه كلمات ثقيلة جداً جعلت إيلين تسقط أرضا: أنا ألغي خطبتي بك، يمكنك العودة إلى منزلك.

لم يستطع إدوارد سماع حزن إيلين و هي ممسكة بقدميه و تتوسل إليه أن يسامحها و يغفر لها هذا التصرف الطائش الذي لم تتحكم في نفسها عند فعله..

علم جميع من في القصر بهذا الخبر بعد أن شاهد إيلين وهي تغادر القصر في عربتها، حينها استدعى الملك إدوارد ليذهب إلى غرفته، صرخ عليه كثيرا ومن شدة الغضب كنت تستطيع رؤية الدخان خارجا من رأسه، وقف من كرسيه و كأن جسمه خارج عن سيطرته، صفع إدوارد بقوة حتى انصدم جميع الحضور مما حدث، بعدها فقد الملك توازنه وسقط على الأرض فاقدا الوعي.. اجتمع حوله الخدم قلقين على حاله، وتم نقله إلى غرفته، لكن إدوارد بقي واقفا في مكانه لم يستوعب ما حدث..

بقي الملك فاقدا وعيه في غرفته و الطبيب بجانبه، وجميع سكان المملكة علم بتدهور صحة الملك، وفي ركن من أركان القصر حاصر ألفريد دافين، وبدأ بعرض أفخم المنازل له حتى يترك عمله، و يبقى بذلك إدوارد وحيدا، بخفة أخرج دافين سكينه و وجهها نحو عيني ألفريد و رفض عرضة.

بعد يوم من غياب الملك عن الوعي.. طلب إدوارد حضور جانيت إليه، دخلت الغرفة عليه و وجدته منهارا لا يعلم ماذا يفعل ويحمل على نفسه كل ماحدث.. حتى ربتت على رأسه و جلست بجانبه على السرير، وقالت له : " هذه حياتك لذلك يجب أن تفعل ما يمليه عليك قلبك"

وقف من مكانه وذهب بسرعة إلى غرفة الملك، لكن وجد الملكة أمامه، ورفضت أن يدخل عليه، لكن وقف دافين مع إدوارد، وفي النهاية سمحت له بزيارته لمدة قصيرة فحسب، دخل إدوارد و جلس على الكرسي بجانب السرير، وهو ينظر إلى والده الذي كانت عيناه مفتوحتين، و يتنفس بصعوبة، فقال له :

-أريد أن تسمعني.. أن تسمع رغباتي، وما أريد أن أفعل.. أنا أريد الزواج من جانيت، لم أوافق أبدا على إيلين، لم أرد يوما أن أطلق ذلك السهم، كنت فقط أريد أن تحبني وتنظر إلي أنا و تنظر إلى أمي..

بعد لحظات صمت تحدث الملك بصوت متقطع يخرج من قلبه المتعب و المريض :

- أنا أيضا تم إإجباري على الزواج من والدتك بسبب الملكة .. غضبي و حقدي تجاه أمي قد أفرغته عليها و عليك، كان همها الوحيد أن أكون الملك المناسب، مع زوجة مناسبة و أن أفعل ما تمليه علي..

قاطعته الملكة وهي تفتح الباب و تطلب من إدوارد أن يغادر، بعدها قال الملك: جانيت؟ ذات شعر أحمر؟ إذا أردت أن تتزوج تلك الفتاة، ابحث عن الحقيقة، يجب أن تثبت براءتهم..

دخل الحراس و أخرجوا إدوارد من غرفة الملك، وبقي يتخبط في كل تلك الأحاديث وهو يتمشى في الممر حتى وجد شقيقه باتريك واقفا أمامه، احتضنه وقال بنبرة حزينة : سامحني، أنا أرجوك يا أخي سامحني..

في اليوم التالي قرر إدوارد السفر إلى قرية لاريسا حيث كانت تعيش جانيت، ركب الحصان و بسرعة انطلق وحيدا وفي رأسه تساؤلات كثيرة.. حتى وصل لمنزل جانيت القديم و لمح من بعيد والدها وهو يخرج من عربة و يدخل إلى منزله، ربط إدوارد حصانه بشجرة قريبة و طرق الباب بقوة حتى خرج والد جانيت غاضبا و سأل إدوارد عما يريده.

سأله عن والدة جانيت، فأجاب بعدم اهتمام أنها ليست ابنته الحقيقية، حتى و أنه باعها إلى رجل يدعى ألبرت يدير منزلا للخادمات، ارتعشت روح إدوارد بعد سماع ذلك الكلام، رفع يده وعيناه تشتعل غضبا و خنقه بقوة حتى ازرق وجهه، لكن توقف حينما سمع صوت ابنه يبكي في الداخل، فسقط أرضا وبدأ يسعل بشدة..

نظر إليه إدوارد بغضب عارم: إذا لا تعرف شيئا عن والديها الحقيقيين؟

-لقد أعطتني والدتي هذه الفتاة لأعتني بها، أنا لا أعرف شيئا آخر.

بعد يومين من حالة الملك الصعبة مات. وطوال الجنازة كان دافين واقفا بجانب إدوارد، حتى وصلت لحظة الإعلان أن ولي العهد إدوارد أصبح الملك الجديد للمملكة.

تقف الملكة و تضع التاج على إدوارد في ساحة القصر، حضر نبلاء المملكة و عامة الشعب، لكن إدوارد يحمل التاج من يد الملكة و يتقدم ناحية باتريك، و الجميع مستغرب لما يفعله.. حتى وضع التاج على رأس شقيقه باتريك و قال بصوت عال :

-من الآن ملك أوديلا هو باتريك، و أنا بصفتي أخوه الأكبر سوف ادعمه بكل قوتي، و أقوم بواجبي تجاه شعبي بصفتي واحدا من الأسرة الملكية..

بعد أن أنهى كلامه نظر إلى جانيت التي كانت سعيدة من أجله، أعجب الجميع بكلام إدوارد، وهتفوا عاليا من أجل ملكهم الجديد الذي علقوا عليه آمالهم و سلمهم..

بعد أسبوعين من التحضيرات و الأعمال الكثيرة الخاصة بالأوراق و المملكة، قد مر وقت طويل منذ آخر مرة تحدث فيها إدوارد مع جانيت، وأخيرا فكر في رؤيتها، كانت تنتظره في غرفة الرسم كل صباح، دخل

عليها و شاهد اللوحة التي كانت تضع عليها بعض من اللمسات الأخيرة.

نظر إلى اللوحة و ابتسم، فكر في أنه قد احتاج إلى دفعة واحدة فقط من جانيت، ما إن تلقاها استطاع إجراء محادثة عادية مع والده قبل فوات الاوان، و استطاع أن ينظر إلى عيني شقيقه، و وقف بظهر مستقيم وتحدث أمام حشد كبير من الناس ..

حتى مر ألفريد على غرفة الرسم، و وقعت عيناه على جانيت التي انعكست أشعة الشمس عليها لتبدو مضيئة، وبدت تشبه حبه القديم، الذي دفنه منذ أكثر من عشر سنوات، استمر في تأملها محاولا أن يجد تفسيراً، لماذا أنجيلا جالسة هنا؟ هل أنا أتخيل وجودها كالعادة، ألم أمحها بالكامل؟

استيقظ من أحلام اليقظة على صوت دافين الذي يقف خلفه، سأله عن سبب شرود ذهنه وهو ينظر إلى جانيت، أنكر هذا و نظر وقال لنفسه : دافين.. سوف أتخلص منك عما قريب..

بعد أيام اجتمع في قاعة ضخمة إدوارد و باتريك و ألفريد و بقية المسؤولين، تحدث ألفريد عن الخطة التي كان الملك سينفذها وهي إخضاع مدينة صغيرة تدعى راما في الشرق حتى لا تتحالف مع أعدائهم مستقبلا، اقترح حينها استعمال القوة و الهجوم عليهم، لكن إدوارد عارض الأمر بشدة حتى أن باتريك دعم قراره فاقترح أن يرسل لمدينة راما رسول سلام يدعو كبارها لضم أراضيهم لمملكة أوديلا حتى تبقى

أراضيهم تحت حماية المملكة، وافق الجميع على الاقتراح، حينها وقف ألفريد من كرسيه، وقال : أعرف شخصا مناسبا لهذه المهمة،

سأله إدوارد عن هوية هذا الشخص، فرد عليه : إنه دافين و من غيره، رجل صادق إلى أبعد الحدود و قوي و يمكنه التحالف و النقاش معهم و أنا أضمن نجاحه.

أكد إدوارد كلام ألفريد عن دافين بشدة، و تم توكيل دافين بهذه المهمه، بعد انتهاء الاجتماع و مغادرة المسؤولين القاعة أخذ ألفريد جانبا باتريك و بدأ يهمس له..

غادر دافين العاصمة في الصباح التالي على ظهر حصانه مع بعض من من الطعام، كان السفر يستغرق على الحصان للوصول إلى أراضي راما يومين.

في ذلك الصباح أخذ إدوارد نفسا عميقا باسترخاء وهو ينظر إلى النافذة، لأنه وثق في دافين.. حتى دخل عليه باتريك و اقترح عليه الخروج في رحلة للاستمتاع ليزيل عنه التوتر، لأن إدوارد في الفترة الأخيرة على ظهره أعباء كثيرة.

أعجب إدوارد بالفكرة، وطلب من جانيت أن ترافقه حتى تستطيع الرسم بهدوء في الطبيعة و تبدأ في لوحة إدوارد الثانية.

وقف ألفريد أمام باب القصر و شاهد انطلاق عربة إدوارد و جانيت إلى الرحلة، دخل غرفة اللوحات وشاهد لوحة جانيت التي تم صنع إطار

ذهبي خاص باللوحة، بدت بارزة لأن إدوارد كان الشخص الوحيد في اللوحة أما و بقية اللوحات فلم تكن كذلك، نظر ألفريد إلى اللوحة بتأمل و نظر لطرف اللوحة ووجد التوقيع "جان" بدأت شكوكه تصبح حقيقه، أن جانيت ابنة أنجيلا و جان..

ثم مر على غرفة إدوارد، و كان الباب مفتوحا والخادمات يقمن بأعمالهن اليومية في التنظيف، تسمر في مكانه وفكر .. هل هذا حقيقي؟ أن أنجيلا تنظر إلي الآن، دخل غرفة إدوارد و أمر الخدم بالخروج حالا، وأغلق الباب بقوة، ثم عاد للوقوف أمام لوحة أنجيلا وهي والدة جانيت.

نظر إلى عينيها و أخرج الخنجر .. اقترب أكثر و خربش اللوحة وأخرج غضبا و إحباطا دفنه لأكثر من عشر سنوات، ثم سقط على الأرض جالسا وفي رأسه عدد من التساؤلات هل جانيت تتذكر ماحدث في الماضي؟ ثم ابتسم، وقال :

-عزيزتي أنجيلا، سوف أرسل لك ابنتك..

جلست جانيت على صخرة و أغلقت عينيها، و أحست بنسمات باردة رنانة ترقص لأنغامها جميع الأشجار و الزهور مع ألحان خرير النهر القريب، و تحت السماء الغائمة جزئيا استطاع إدوارد اصطياد خنزير بري بدقة تصويبه بالقوس و السهم، أعجبت جانيت بوقفة إدوارد وهو ممسك بالقوس و السهم استعدادا لإطلاقه، فرسمته على الدفتر، تعمق إدوارد في الغابة أكثر فشاهد طفلا صغيرا واقفا حافي القدمين

يشبهه كثيرا حينما كان صغيرا .. أقرب منه الطفل و احتضنه، تفاجأ إدوارد قليلا، ثم ربت على رأس الطفل و ابتسم..

اقترب موعد وجبة الغداء و فاجتمع إدوارد و جانيت مع فليكس و ناومي، وجلس الجميع على قطعة قماش على الأرض وبدأت ناومي بوضع الطعام في الأطباق.. أراد إدوارد مشاهدة ماكانت ترسمه جانيت، فاقترب منها باحثا عن الدفتر فشعرت بوخز في صدرها، أبعدته عنها بقوة بعد أن احمر وجهها بحجة أنها ستكون مفاجأة له، بعد ذلك لم تستطع النظر في عينيه وبقيت صامتة..

أخذ إدوارد جولة بمفرده بين الأشجار يفكر في كيفية إخبار جانيت عن بحثه لحقيقة والديها، و كيف يعترف بحبه لها، استمر في المشي و التفكير حتى شعر أن الوقت تأخر و عاد إلى العربة، لمح من بعيد فليكس مرميا على الأرض و ناومي بجانبه تبكي، وسمع صوتا يأتي من خلف العربة، اقترب من العربة ببطء وحذر حتى وجد رجلا ممسكاً بجانيت ويضع سكينه على رقبتها ويقول لها :

-أخبريني ماهدفك من التواجد في القصر؟ ماذا تريدين بالضبط؟

تفاجأ إدوارد مما سمعه، و نظر إلى الأرض و وجد قوسا و سهم لكن لم يستطع الإمساك بهما لأن تحتهما بقعة دماء، استمر في الارتجاف، و أخذ نفسا سريعا و أمسك القوس و السهم، فجأة وقف رجل آخر خلف إدوارد أراد طعنه، لكن إدوارد تجنب السكين، وجه الرجل الآخر ضربة على ظهر جانيت سقطت أرضا و فقدت الوعي.

لم يتحكم إدوارد في تحركاته بعد ذلك تدحرج على الأرض واقترب من القوس و السهم أخذهما و أطلق على الرجلين في القلب مباشرة فسقطا أرضا، كادت أنفاس إدوارد تنقطع وهو ينظر إلى جانيت على الأرض فاقدة الوعي، اقترب منها بخطوات ثقيلة و جلس بجانبها، لمس خدها تحدث بصعوبة :

- سوف أقتل كل من يفكر في أذيتك، سوف أقوم بمحو وجودهم..

اقترب فليكس الذي كانت تساعده ناومي على السير، حزنت ناومي عندما رأت جانيت، فحملها إدوارد إلى العربة، و قام إدوارد بقيادة العربة، في طريقهم استعادت جانيت وعيها فأوقف إدوارد العربة في مدخل العاصمة، سأل إدوارد وهو ينظر إلى جانيت بحزم : أين يقع منزل جدتك؟

أجابت على سؤاله وهي مستغربة: أنه في شارع دي ريفولي...

ربت إدوارد على رأس جانيت و طلب منها أن ترتاح، وضع رداء على رأسه، ثم اتجه بالعربة إلى شارع دي ريفولي، وحينما وصل نزل و سأل بعض الناس، ثم اتجه إلى المنزل المقصود، توقفت العربة و قد كان منزلا مهجورا..

- لن نعود إلى القصر حتى نكتشف من هو المسؤول عن مهاجمتنا اليوم، فليكس و ناومي اذهبا إلى الطبيب و اتركا العربة في مكان بعيد،

و ناومي هناك مهمة لك إذا سمعت أي أخبار مهمه تعالي إلي سوف أكون هنا..

ثم غادر فليكس و ناومي بالعربة، وضرب إدوارد باب المنزل القديم بقدمه حتى فتحه، و دخل فتبعته جانيت، ثم بدأت تنظر هنا و هناك، حتى وقعت عيناها على لوحة معلقة في الجدار أمام المدخل مباشرة: هل هذه...

أغلق إدوارد الباب خلفه و اقترب من جانيت أمسك يدها : إنه منزل الجدة لوسي.. أخبرني الرجل الذي عشت عنده في القرية عن بعض من المعلومات، و عن آخر رسالة أرسلتها جدتك..

لقد أرادت الجدة لوسي أن تعرف جانيت الحقيقية قبل أي شخص آخر، لكن ابنها لم و تجاهل الرسائل التي تصر عليه أن يحضر جانيت إليها قبل أن تموت، كانت اللوحة المعلقه لجانيت ذات ثلاثة سنوات و والديها، بقيت متأملة اللوحة و لمست وجه والدتها ثم قالت : أمي..

دمعت عيناها فجأة، ثم لمست وجه والدها و قالت : إذا هذا هو شكل أبي..

نامت جانيت فوق سرير جدتها و ادوارد نام في غرفة مقابلة لها، حل الصباح فقرر ادوارد أن يفتش المنزل جيدا لإحتمالية عثوره على دليل قد يساعده، و قد كانت جانيت جالسة على كرسي أمام لوحة والديها وهي تبتسم، كأنها تتحدث معهما..

وقف إدوارد خلفها و ابتسم، سعيدا و مصرا على مساعدتها في كشف جميع الأسرار، لكن فجأة أحس بشيء يمشي فوق قدمه، فنظر إليها ليجد سحلية عليها، صرخ من دون توقف وسقط أرضا محاولا إبعاد السحلية، نظرت إليه جانيت وضحكت من تصرفه..

استمر إدوارد في البحث و عثر على مذكرات أنجيلا في حقيبة تحتوي على رسائل وكثير من المجوهرات، ركض نحو جانيت حاملا المذكرة متفائلا أنه قد يجد تفسيرا لما حدث..

{6}

ملاك من سماء الحرب

أول حب، حب مليء بالبراءة و الأمنيات، حب طفولة في هيئته النقية و الخلابة، هكذا أحب ألفريد تلك الفتاة الرقيقة مثل الملاك.. تلك الملاك التي لم تمتلك قلبا من قبل على حسب كلامه.. أنجيلا صديقة له من أيام الطفولة حتى بدأ في حبها تحت سماء الحرب، أحبها و الموت يقبل أنفاسه الأخيرة..

عانت مملكة أوديلا من خسائر كبيرة في الحرب، حتى أن العدو تقدم و أخذ كثيرا من الرهائن من نساء و أطفال، و اقترب غزو العدو من عاصمة أوديلا، فإذا سقطت العاصمة يسقط معها كل شيء، لذلك اضطرت الملكة تجنيد الشباب الذين لا تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة،

ألفريد الذي كان فتى ملازما للكتب ولا يتمتع بأي قوة، أو مهارة للقتال، خرج للمشاركة في الحرب و وضع حماية عائلته و أنجيلا صديقته في عينيه، سمعت أنجيلا بالخبر وأصرت على مرافقته لمساعدة الفريق الطبي..

وصلت إمدادات العاصمة إلى حدود المملكة خلال يوم واحد، وقد كانت الهجمات من المملكة المجاورة في أشدها حتى انتفض ألفريد حاملا

سيفه من دون ذرة خوف، مهاجماً خيام العدو في المساء، محررا بذلك هو وجماعته سكان القرية الذين تم أسرهم وهو في طريقه لإخراج آخر فتاة من منطقة العدو، تم الهجوم على الفتاة من الخلف بسيف من العدو لكن ألفريد دافع عنها بجسده، وتلقى الضربة، صرخت الفتاة فور تلطخ وجهها البريء بالدماء، و فجأة تدخل جان أحد المجندين..

قضى جان على العدو و حمل ألفريد على ظهره و أسرع ممسكا بيد الفتاة إلى العربة للهروب، وفي الطريق نزف ألفريد بشدة و بدأ يفقد الوعي بالتدريج، كان جالسا و أسند جسمه على جان و تحدث ألفريد بصعوبة : اسمعني أرجوك.. أعتقد أن هذه كلماتي الأخيرة، أنا أرجوك أن توقف هذه الحرب..

أمسك بذراع جان بقوة و تحدث بين طيات الألم : أنجيلا.. سوف تجدها هناك.. في مركز الإسعاف طمئن قلبها، أنا أرجوك يا جان..

بعد كلماته الأخيرة أغلق عينية و فقد وعيه، أمسكت الفتاة يده وبدأت بالبكاء حتى رفع يده بصعوبه و مسح دمعتها، وقال :

-إن الفتاة التي أحبها تهتم بي حقا، لذا أنا راض على الموت هنا.. لذلك لا تبكي،

صرخت و الدموع لا تفارق وجهها: افتح عينيك لا تغلقهم..

أغلق ألفريد عينيه وهو مبتسم : أنا أريد أن أرتاح قليلا..

وصلت العربة إلى أقرب مكان مخصص لإسعاف الجرحى و تم إنزال ألفريد من العربة، احتضنته الفتاة و همست في أذنه رغم أنه فاقد الوعي: أنا أدعى إيفا، أرجوك ابق على قيد الحياة..

بعدها أدخله المسعفون إلى الخيمة، وبقيت إيفا واقفة تبكي بحرقة حتى نقلها الجنود إلى بر الأمان، بعد ساعات من العمل تم علاج جرح ألفريد، وبقي مستلقيا على بطنه غائبا عن الوعي، خرجت أنجيلا من مركز الإسعاف و هناك دماء على ملابسها البيضاء لتأخذ نفسا سريعا وتعود للداخل،

استوقفها منظر جان وهو متحجر في مكانه اقتربت منه و سألت إذا كان قد تعرض لإصابة، ابتعد خطوة و نظر في عينيها و الندم يقطع قلبه :

- انت صديقة ألفريد؟ أنجيلا.. أنا آسف لو أنني وصلت مبكرا له كنت أستطيع إنقاذه.. أنا آسف

ابتسمت أنجيلا : أن حالته مستقرة الآن، سوف ينجو أنا أعرف ألفريد جيداً، يمكنه الوقوف من جديد..

استمرت أنجيلا في تفقد حالته طوال الليل و من دون انقطاع حتى نامت من شدة التعب..

انتهت الحرب و عم الأمان في أنحاء المملكة، لكن أكثر من عرف اسمه و تناقلت الناس عن بطولاته هو الجندي جان تولكين لأنه أنقذ

الكثيرين.. حتى عينه الملك ليصبح قائد الحرس الملكي بذلك العمر المبكر استحق الإعجاب، في تلك الأثناء كان ألفريد يحضر حفلا لعيد ميلاد أنجيلا دعا فيه معارفهم و عائلاتهم لتتفاجأ أنجيلا بالحفل، و تقدم شكرا حارا له..

وطوال الحفل كانت أنجيلا تنظر إلى ألفريد بنظرات دافئة، تسارعت نبضات قلبه فردد في عقله "أن أنجيلا تحبني" و مع اقتراب نهاية الحفل تقدم ألفريد لخطبة أنجيلا، جلس على ركبة واحدة و قدم لها خاتم الزواج، لكنها رفضته و أمام الجميع وسط همسات و كلمات غير مسموعة من المحيطين به، لم يعرف بالضبط ما حدث بعد كلمات رفضها تلك، لكنها أمسكت بيده و احتضنته و ربتت على ظهره بلطف، واعتذرت..

لم يستوعب ألفريد ما يحدث له حتى انتهاء الحفل، و وجد نفسه أمام النهر وهو يصرخ بحبه، ولا أحد يسمع صراخه، ينادي باسم أنجيلا.. و بعد أن سقط جالسا على الأرض و شاهد انعكاس القمر على النهر ينير وسط الظلام الدامس، تخيل أنجيلا وهي سعيدة ممسكة بيد رجل آخر، فرمى الخاتم في النهر و حاول إقناع نفسه:

"أن أنجيلا تستحق العيش مع الشخص الذي تحب، أن أنجيلا تستحق أن تكون سعيدة".

مع مرور الوقت انعزل ألفريد عن جميع أقاربه و أصدقائه في مكتبة القصر، أصر على أن يصبح في مقام جان حتى تعجب به، و قد كان في

بعض من الأحيان يرسل رسالة إلى أنجيلا يعبر فيها عن حبه، لكن أنجيلا لم ترد عليه، استمرت في مقابلة جان حتى عرض عليها الزواج، و وافقت من دون تردد، و بعد سنتين من انعزال ألفريد خرج من صمته بعد أن وصلته رسالة ترشحه لاجتياز اختبار لتعيينه مستشار الملك القادم، و قد كان أصغر المترشحين، وهو بعمر الواحدة والعشرين فقط..

في النهاية قد حصل ألفريد على قبول من المستشار الحالي للملك، حتى يصبح خليفة له، و تم تعيينه في المنصب بعد كل ذلك الوقت و الجهد أحس في داخله أنه مستعد لطلب يد أنجيلا مرة أخرى..

و في تلك الأثناء التي كان فيها ألفريد مشغولا، عمل بجد و اشترى منزلا، لكن تم إقامة حفل زفاف جان و أنجيلا، لم يسمع ألفريد عن هذا الموضوع أبدا حتى واقفا بجانب الملك دخل جان و أنجيلا عليهم، لم يركز ألفريد على كلامهم أبدا كان ينظر للأرض وهو يقبض على يده بقوة..

قاطع الملك سلسلة أفكاره قائلا: ألفريد ألا توافقني الرأي؟

-سامحني يا صاحب السمو، كنت شارد الذهن

-لابد أنه بسبب التفكير في المستقبل، من الرائع الزواج و الاستقرار داخل جو أسري دافئ، بالإضافة أنك مستشار الملك الآن، من التي قد ترفض الزواج بك؟

بعد نهاية نقاشهم و مغادرة جان و أنجيلا، خرج الفريد بعدهم من القصر و التقى بهما أمام بوابة القصر، اقترب جان من ألفريد و بقيت أنجيلا أمام عربة الخيل، تحدث جان مع ألفريد بعفوية :أرسلت لك أنجيلا دعوة لحفل الزفاف لكنك لم تحضر، لماذا؟

نظر ألفريد إلى جان بحزم و رد عليه : كنت مشغولا بأمور عدة، أنت تراني الآن أصبحت المستشار، لم يأت هذا من فراغ..

فرح جان لألفريد على منصبه و وعده بأن يعملا معاً من الآن فصاعدا، كانت أنجيلا واقفة بجانب العربة حتى اقترب منها جان و ابتسمت له وغادرا، وقف ألفريد بعيدا يراقبهما..

عاد إلى منزله بعد ذلك، ذلك المنزل الذي اشتراه، و حلم بأن يعيش فيه مع أنجيلا، أطلق سراح جميع الخدم و جلس على مكتبه، أمسك قلما و ورقة، و بدأ يكتب كل ما يخطر على باله كل أحزانه و جروحه كتبها..

تم أرسال الرسالة إلى أنجيلا، كانت تقرأ الرسائل و أحست بالذنب، كانت في بعض من الأحيان دموعها تنزل على الورقة، استمر ألفريد في إرسال الرسائل، لم يتلق ردا لكن كان قلبه يرتاح كلما كتب رسالة، و كلما صادفت أنجيلا ألفريد في القصر الملكي أحست أن بريق عينيه انطفأ إلى الأبد.. و لم تتجرأ على نطق حرف واحد..

بعد عدة أشهر و مع الوقت أصبحت رسائله توحي بالتهديد، لكن أنجيلا لم تصدق كلامه، أقنعت نفسها أن هذا بدافع الإحباط فقط، هل يعقل أن يتحول الحب البريء إلى كراهية حتى الموت؟

في تلك الأثناء يتم التحضير لعيد ميلاد إدوارد الأول، جاءت أخبار هامة لألفريد عن طريق أعوانه المخلصين عبر أراضي المملكة:

"هناك متمردون من الشعب، أفراد يريدون الهجوم على القصر في حفل عيد ميلاد إدوارد الأول، من أجل استعادة حقوقهم بسبب القوانين الجديدة التي تم إصدارها، التي تتعلق بالأراضي الزراعية"

و قبل انطلاق الحفل بدقائق جمع ألفريد أفراد فرقته في ساحة خلف القصر، حينما كان الجميع منشغلا بالحفل و تحدث بكل حزم :

-اليوم سوف نحمي القصر، خذوا هذه الأوامر مني أنا شخصيا دون الاستماع إلى أي أحد، هل كلامي واضح؟

قام الرجال بتحية القائد ألفريد : أمرك سيدي..

تم تزيين القصر ودعي الكثيرون للحفل، و في المساء حينما بدأت الحراسة تقل تلقى جان خبرا بأن أنجيلا سوف تلد الليلة، ترك موقعه و ذهب مسرعا لاستقبال ابنته، و عند مغادرته القصر بدأت أعمال شغب تحدث داخل القصر، تم إحراق مائدة الطعام وسط القاعة، لكن تم إخماد الحريق بسرعة من قبل رجال ألفريد و القبض على

المتسببين في الحريق، و تم القبض على كل الرجال المشبوهين حول القصر..

هرب المدعوون إلى الحفل، بعد التحقيق اكتشف الملك سبب تلك الأعمال و في لحظة غضب أمر بأن يتم سجنهم جميعا!! حتى عارض ألفريد على هذا الأمر.. في البداية غضب الملك أكثر، لكن فسر ألفريد تصرفه هذا بأن الشعب سوف يصفه بالظلم، و هناك احتمالية أن تزيد أعمال الشغب.

قدم ألفريد اقتراحه الذي أرضى القرويين، قال إنه شخصيا سوف يستمع إلى طلبهم و يساعدهم، فقدم الملك شكره الحار إلى مستشاره على تدخله السريع، و ترك أمر القرويين له وهو مطمئن..

بعد أن سمع الكثيرون عن هذه الحادثه، وجهت الأنظار إلى جان لأنه لم يفعل شيئا بصفته المسؤول الأول عن أمن القصر..

بعد اربعة سنوات بالضبط، بعد أن كبرت جانيت أخذها والداها إلى القصر لتتعرف على إدوارد، حينما دخلا القصر أعجبت جانيت به كثيرا لكبر حجمه و اللوحات التي علقت فيه و التماثيل المنحوته فيه، حتى أضاعت طريقها ليلتقي بها ألفريد في القصر.

نظرت إلى عينيه و أحست بحزنه اقتربت منه و احتضنت ساقيه، و قالت : تمثال متحرك..

قالت هذا بسبب شعره ذي اللون الرمادي و ملامحه المتصلبة، عرف من أول لحظه أنها ابنة أنجيلا و جان، ابتلع ريقه و تحرك دون وعي، اقتربت يداه منها و ألتفت حول عنقها الرقيقة.

كانت جانيت تبتسم في وجهه دون أن تفهم شيئا من تصرفه هذا، حتى سمع صوت إدوارد من بعيد وهو يتحدث إلى خادمه، فأبعد الفريد يديه عن جانيت و ابتعد خطوتين للخلف، سأل إدوارد عن هوية الفتاة، فأجابه الخادم :

-أنها ابنة جان تولكين قائد الحرس، يبدو أنها أضاعت طريقها في القصر..

أمسك إدوارد يد جانيت و اتجها إلى الحديقة، تم تقديم جميع أنواع الحلويات و الشاي فوق طاولة مستديرة حيث كانت تجلس انجيلا، و جان، و الملك مع زوجته بين أحضان الأشجار، وبخت أنجيلا جانيت لأنها انفصلت عنهم و أضاعت طريقها، حتى ضحك الملك و قال : و عثر عليها إدوارد، أعتقد أن هذا مقدر لهما..

جلس الجميع إلى الطاولة و تبادلوا أطراف الحديث، وبقي ألفريد واقفا من بعيد ينظر إليهم، كانت ضحكات أنجيلا لا تتوقف، فإزدادت رغبته في أن يجعل تلك الضحكات تتوقف للأبد، تحدث الملك بمزاج جيد وسط حديثه مع جان : أود أن أخطب ابنتك جانيت إلى ولدي إدوارد، طبعا هذا بعد موافقتك.

-يسرني هذا ياصاحب السمو، إن هذا شرف لي.

حسم الأمر، وقرروا بأن الإعلان الرسمي يكون إلا بعد بلوغ إدوارد سن الثامن عشرة، نظر إدوارد إلى والدته التي كانت ابتسامتها لا تعبر عن السعاده، ثم إلى والده الذي دائما ما يملي عليه ما يريد، ضرب إدوارد المائدة بيديه و صرخ وهو ينظر إلى عيني جانيت : من المستحيل أن أقبل بهذا، إنها فتاة مقرفة..

بعد لحظة صمت نزلت دموع جانيت و احمر خداها، صرخ الملك على إدوارد، فغادر ادوارد مسرعا، وقفت والدته لتلحق به لكنه منعها الملك من اللحاق به بحجة أنه لم يعد طفلا

وقفت أنجيلا مدعية أنها تريد الذهاب إلى الحمام، وبحثت عن إدوارد حتى وجدت أنه جالس في غرفته، دخلت عليه و جلست بجانبه، سألته العديد من الأسئلة، لكنه كان غاضبا ولم يجبها.. ثم سألت : ألا تحب جانيت؟

-ليس كذلك...

-إذا لماذا رفضتها؟ و أنت حتى لا تعرف شيئا عنها..

-لا أريد أن تكون جانيت غير سعيدة، أمي أُجبرت على الزواج من أبي، لهذا هي ليست سعيده.

مسحت أنجيلا على رأس إدوارد بضحكة مكتومة، و قالت: تتحدث مثل البالغين، سوف أرفض عرض والدك، لن يحدث أي شيء رسمي حتى أسمع بنفسي أنك موافق..

جاء وقت مغادرة جان و أنجيلا و جانيت القصر، أوقفهم إدوارد أمام بوابة القصر، اقترب منه جان وسأل : هل هناك ما تود قوله قبل مغادرتنا؟

نظر إدوارد إلى الأرض، وقال بصوت منخفض : أنا آسف لأني دعوت جانيت بالمقرفة لم أقصد هذا..

اقتربت جانيت وقبلته على خده، ضحك جان من الموقف و أسرعت أنجيلا و احتضنت جانيت، وقالت : انظر يا عزيزي سوف يتم سرقة جانيت منا، هذا ليس عدلا!!

بعد أيام من ذلك اللقاء، ذهب الملك في رحلته مع زوجته فورنيكا والدة إدوارد لقرية لاريسا حيث التلال و الجو الريفي الهادئ، مع تلك النسمات اللطيفة مر سهم مسموم قرب وجهه و جرحه جرحا طفيفا، انتشر السم مثل انتشار الذئاب حول الفريسة حتى فقد الملك وعيه،

تسمرت زوجته في مكانها و اصفر وجهها، ركض جنديان خلف الرجل الذي أطلق السهم بسرعة و أمسكوا به بعد ملاحقته طويلا..

بينما كان الطبيب يعالج الملك عمت فوضى كبيرة وسط المملكة، بدأت الشرطة في تحقيقها مع المغتال، لكنه لم يعترف ولم ينطق بحرف حتى بعد ذلك التعذيب القاتل، تم تفتيش منزله و عثر على رسالة، رسالة أمر فيها بأن يغتال الملك يوم رحلته، مع تعليمات دقيقه بموقع إطلاقه السهم و مكان إصابته، و قد كان السبب مكتوباً..

"يجب تدمير أوديلا و إعادة أراضيها إلى أصحابها الأصليين "

وقفت الملكة بالنيابة عن الملك و بجانبها ألفريد على رأس التحقيق، تم تحليل محتوى الرسالة من قبل الشرطة و تم مطابقة الخط بمشتبه بهم حتى صرخ أحد من الشرطة قائلا، شاهدت توقيعا للسيد جان من قبل كان يكتب حرف الجيم في توقيعه مثل الحرف الموجود في الرسالة..

اقترب ألفريد من الشرطي بخطوات سريعة و أمسك الرسالة نظر فيها بإمعان و ارتجفت يداه : هذا لا يصدق أن هذا خط يده فعلا..

أمر ألفريد الشرطة بأن تحقق أكثر مع المغتال و أن تلقي القبض على جان حتى تثبت براءته، اقترب ألفريد من الملكة و طمأنها على سير التحقيق، و أن الملك سيقف من جديد، أمسكت برأسها من فرط في التفكير، وقالت :

-هذا مرعب حقا، أن يتم خيانتك من أقرب الناس إليك..

اتهم جان بالخيانة و أمر كبير الضباط القبض على جميع أفراد أسرته، وصل الخبر أولا إلى مسامع حارس منزل جان كان من أكثر الناس وفاء و ثقة بجان، يساعد أنجيلا و جانيت على الهرب من المنزل بعد أن غطى رأسيهما حتى لا يتم التعرف عليهما..

أخذت أنجيلا المال و المجوهرات حتى أنها حملت الرسائل التي كان يرسلها ألفريد لها و غادرا المنزل، و بقي الحارس يحاول تأخير الشرطة في عملية البحث..

حل المساء وكانت أنجيلا و جانيت تسيران وسط المدينة محاولتين الخروج منها، لكن الجنود في كل مكان، فتعبت جانيت من المشي، فقامت أنجيلا بحملها على ظهرها وهي تحمل حقيبة كبيرة بيدها الأخرى، لكن تعثرت وسقطت أرضا اتسخت ملابسها و وجهها بالوحل، و نزلت الدموع من عينيها، حتى وقف أمامها مباشرة ألفريد وهو يبتسم قائلا :

-عزيزتي أنجيلا ماذا حل بك؟.. سوف أقدم لك عرضا رائعا..

-أنا لا أحتاجك.

-تعالي إلي و اعترفي بأنني أفضل من جان، و اقبلي الزواج بي، و انا سوف أثبت أنك بريئة، و لن يحدث لك أي شيء. هذا سهل سوف أقنع الآخرين أنه ليس لك أي علاقة بمخطط جان.

احتضنت أنجيلا ابنتها وقالت: هل انتهيت من كلامك؟

عم الصمت، ثم قالت : أنت وراء كل شيء صحيح؟

استمر ألفريد في تلك الابتسامة المستفزة، وقال : لا يهم إذا كان ذنبي أم لا ، أنا لم أفعل شيئا سيئا.

توقف فجأة عن الابتسام و استمر في الحديث : كل الحق عليك، لأنني أرسلت برسائلي ولم تهتمي، كان يجب أن تضعي حدا لمشاعري قبل أن تتحول..

نزلت الدموع من عينيها دون توقف: حينما صرحت عن رغبتي في تعلم الطب دعمتني و شجعتني، لاتزال ذلك الشخص الذي يعطيني القوة، لكن..

هل يعقل أن تتحول تلك المشاعر إلى كره؟

-أنا لا أستطيع أن أكرهك أو ألومك لأنك...

فجأة تسمع أنجيلا صوت الشرطة تقترب من مكانها فتأخذ بيد جانيت و تحمل الحقيبة و تركض، ويبقى ألفريد واقفا دون حراك، اقتربت الشرطة منه وسألته عن إذا ما صادف أنجيلا و ابنتها، فأشار لهم للطريق الخاطئ..

في تلك الأثناء اختبأت أنجيلا و جانيت تحت الجسر الذي يقع فوق نهر صغير في المدينة، حتى مر من فوقه الشرطة بحثا عنهما، شاهدت جانيت انعكاس الشرطة على ماء النهر وهم يحملون سيوفا و مشاعل من النار حتى يضيئوا بها الطريق، فاحتضنتها أنجيلا و أغمضت لها عينيها و همست :

-لا تخافي يا ابنتي سوف احميكي مهما كلف الأمر..

نامت جانيت في حضن امها، استمرت الشرطة في التجوال بالمنطقة حتى نامت أنجيلا، في الصباح التالي استيقظت على صوت سيدة توقظها كانت السيدة لوسي، أخذتها إلى منزلها حتى أخرجت أنجيلا بعض من النقود و أعطيها للسيدة لكنها رفضت وهي مبتسمة و ممسكة بيدها :

-لطالما سمعت عن إنجازات السيد جان، أنا واثقة من أنه ليس خائنا..

تنفست أنجيلا بكل راحة و هدوء و ابتسمت بصعوبة، تناولت جانيت بعضا من الطعام، ثم غرقت في نوم عميق على السرير غطتها السيدة لوسي وهي مبتسمة و تمسح إلى شعرها وتقول:

"يا ليته كانت لدي حفيدة جميلة مثلك"

ثم عادت إلى أنجيلا و جلست بجانبها، و أمسكت بيديها، لكن في تلك اللحظات سمعت صوت أحد من النافذة وهو يتحدث بصوت مرتفع :

-الشرطة بدأت بتفتيش المنازل في هذا الحي، و قامت بإغلاق جميع الطرق التي تخرج من المدينة.

ارتجفت يدا أنجيلا وهي تحدق بالسيدة لوسي، ذبلت نظراتها و تاهت في السواد فجأة وهي تردد في نفسها: هل ستواجه ابنتي مصيرا مرعبا؟ أو مؤلما؟ أود أن آخذها بعيدا أريد أن أحميها..

من نظرة واحدة فهمت السيدة لوسي كل شيء، وكيف لا تفهم وهي أيضا أم، فأمسكت وجه أنجيلا بكلتا يديها و خففت عنها القلق و الخوف بكلمات مثل السحر، و عرضت عليها المساعدة .. ارتاحت أنجيلا وقالت:

-أنا لا أهتم لأمري أبدا، حتى لو استدعى الأمر أن أضحي بنفسي من أجل ابنتي سأفعل هذا..

ثم أعطتها صبغة شعر سوداء و خرجت لتتفقد الأوضاع في المدينة ،حينما حل منتصف النهار عادت السيدة لوسي إلى المنزل حاملة معها أخبارا بثت الحزن في خاطر أنجيلا، وهي متأسفة على هذه الأخبار التي تقول:

" تم إعدام السيد جان تولكين، بسبب خيانته مملكة أوديلا "

قائد حرس شاب، و قد كان أحد أبرز الجنود الأقوياء في سن صغيرة، وقفت أنجيلا من السرير، و بدأت تلف قطعة القماش على رأسها، طلبت من جانيت التي أصبح شعرها باللون الأسود أن تلعب في الغرفة، و أن لا تسيء التصرف و تكون فتاة مطيعة للسيدة ،ثم أمسكت ورقة وقلما وكتبت فيها، ثم تحدثت مع السيدة لوسي قليلا بعد ذلك غادرت المنزل..

في منتصف تلك الليلة استيقظت جانيت مفزعة بسبب التخيلات التي شاهدتها في الحلم، أمسكت رقبتها و حاولت التنفس بشكل طبيعي،

لكنها لم تستطع، كانت تجد صعوبة في استنشاق الهواء و جمعه في صدرها حتى نزلت دموعها، ثم بدأت ببطء تستعيد تنفسها الطبيعي، مسحت دموعها و نظرت من حولها، كانت هناك أضواء برتقالية خافتة تتسلل عبر النافذة مع ضوء القمر الساطع جدا.

في الصباح التالي تم اكتشاف جثة قرب النهر كانت لاتزال باردة من مياه النهر، ماتت أنجيلا غرقا، كان من الواضح أنها ماتت حزنا لا بسبب الغرق، كانت آثار الدموع و عيناها المحمرتان تشير إلى كثرة البكاء..

{7}

كلانا يعيش المصير نفسه

بعد قراءة جانيت و إدوارد جميع الرسائل التي أرسلها ألفريد إلى أنجيلا و مذكراتها، نظرا إلى بعضهما البعض اختلطت مشاعرهما، من حزن و فرح، أمسكت جانيت رأسها وبدأت تتذكر أكثر من ما كتب في المذكرات، فنزلت الدموع من عينيها بهدوء، لقد تذكرت أن والدتها تركتها وحيدة فحسب.. ضمها إدوارد إلى صدره و ربت على رأسها :

-لن أتركك وحيدة بعد الآن، لهذا أنت أيضا لتبقي معي..

بعد لحظات صمت و لاتزال دموع جانيت تنزل تلقى إدوارد ضربة على رأسه من أحد رجال ألفريد، فسقط أرضا فاقدا الوعي، من صدمة ما حدث، لم تبد جانيت أي رد فعل حتى تم ربطهما و أخذا إلى عربة خلف المنزل..

كانت ناومي تشاهد ما يحدث من بعيد وهي مختبئة خلف أحد المنازل، و قدماها ترتجفان خوفا، ولم تعرف ماذا تفعل، حتى شاهدت إيلين بعربتها من بعيد، فأسرعت نحوها وهي تبكي..

فتح إدوارد عينيه على جانيت التي كانت مقيدة و جالسة أمامه نظرت إليه وشعرت بالارتياح، اعتدل في جلسته و حاول فك قيده ولم يستطع نظر من حوله كان المكان أعلى منارة مهجورة، كانت غرفة دائرية مظلمة نوعا ما و مليئة بالغبار.. أرخى إدوارد جسده محبطا، نظر نحو الأرض وقال :

-انا آسف، لم أستطع حمايتك..

ابتسمت جانيت، وقالت : هذا ليس خطئك يا ادوارد، أنا سعيدة بوجودي معك ، أينما كنا..

ابتسم إدوارد من غباء جانيت و بساطتها.. لم يفهم معنى تلك المشاعر بعد.. حتى دخل ألفريد عليهما و أمر الحارس أن يخرج من الغرفة، كان يحمل حقيبة الرسائل و المذكرة معه، نظر إدوارد باحتقار له : لن أدعك تؤذي جانيت، ولو على جثتي

جلس ألفريد على كرسي قديم و بدأ يقلب في مذكرات أنجيلا ويقرأ، متجاهلا إدوارد و جانيت، ثم وقف من مكانه وقرب النظر في عيني جانيت : إنها نفس عيني جان، لهذا سوف أقتلك..

وقف ادوارد أمامه وصرخ : هل نسيت أنني موجود هنا!!

تجاهله ألفريد مرة أخرى، غضب إدوارد و صرخ مرة أخرى حتى ركله ألفريد على بطنه بقوة حتى سقط على الأرض سعل دمائا، رمى ألفريد المذكرة و قال :

-اعتقدت أنك شخص ذكي!! هل تحاول أن تكسب بعضا من الوقت بتصرفك هذا.. حتى يأتي كلبك الأليف دافين ليساعدك؟

ضحك ألفريد وهو ينظر إلى النافذة قائلا: اليوم قد عاد دافين من رحلته، لقد كان جثة هامدة..

وقف إدوارد و آثار الدم لاتزال على فمه و قال : لا .. هذا مستحيل .. ألهذا قدمت اقتراحك أن يذهب إلى الرحلة؟

ابتعد ألفريد خطوتين منهم و صفق بحرارة: فهمك للأحداث بطيء جدا، فماذا أتوقع من فتى صغير مثلك اعتاد طوال عمره مساعدة من الآخرين..

أخرج ألفريد سيفه و وجهه إلى وجه إدوارد، صرخ إدوارد قائلا : ألم تسمع ما قلته؟ لن أدعك تلمس جانيت أبدا..

ضحك ألفريد وقال : لا تسئ فهمي أنا فقط أريد أن أرسل لعزيزتي أنجيلا ابنتها، لابد أنها تشتاق إليها، أفكر في قتلها بالطريقة التي ماتت بها والدتها، أليس هذا معبرا؟

نظر إدوارد بغضب : نعم توقعت هذا، أنت مجنون فحسب..

-انظر إلى جانيت، لماذا تقاتل من أجلها، إنها فقط جميلة ولا تظهر أية مشاعر إنها ميتة فحسب، أم أنك لا تحبها؟ انت فقط تريد التكفير عن ذنبك.. لأنك مجرم!!

انصدم إدوارد مما سمعه وعادت ذكرى من الماضي تلاحقه فجأه، كانت عن وفاة جدته "والدة والده" و بعدها مباشرة تزوج الملك بشارون و أنجبت له باتريك، و قل اهتمام الملك بعائلته كان ملازما لزوجته شارون دون غيرها، حتى أصبح إدوارد عدوانيا في تعامله، وكره والده و والدته و شقيقه باتريك، كان في الثامنة من عمره حينما عقد اجتماع حتى يقرر خطبته من إيلين.

استمر إدوارد بتقليل احترامه للآخرين حتى أنه أساء التصرف إلى دافين، و فعل أفعالا طائشة دون أن يسمع عتاب والدته أو غضب والده، حتى رمى كلبه من آخر طابق في القصر، فسقط أمام والده مباشرة حتى تلطخ بالدماء، لم يحزن لموت كلبه حتى..

ثم جاء ذلك اليوم، الذي لاحقه في أحلامه و يقظته، كان يعبث مع باتريك في مكان رمي السهام حتى دافعت والدته على باتريك بجسدها و أصابها السهم الذي أطلقه إدوارد، سقطت على الأرض غارقة بدمائها..

عاد إدوارد للواقع فجأة حينما سمع صراخ جانيت وهي تبكي: وماذا في ذلك، وهو الآن يريد حمايتي.. أنا أحتاجه.. أنا أحبه، يحزن لحزني، و يفرح لفرحي،وعدني بأنه لن يتركني، وماذا بعد؟ أنت لازلت عالقاً في أفعالك..

انصدم إدوارد لكلام جانيت و نظر إليها، استمرت جانيت في الصراخ على ألفريد: بعد قراءتي فقط لمذكرات أمي اكتشفت، أنك أكثر شخص اهتمت لأمره حتى أنني شعرت بالغيرة، لماذا فضلت الانتحار وتركت

ابنتها على أن تقدم الدليل إلى الملك؟ لماذا فضلتك أنت علي. كانت تبكي على حالك كلما قرأت الرسائل التي أرسلتها لها، آثار الدموع لاتزال موجودة حتى الآن..

سقط ألفريد أرضا بعد الكلمات التي تلقاها، تسلل إلى مخيلته وجه أنجيلا وهي غاضبة منه و تعاتبه بسبب تهوره في الحرب..

بغض النظر عن إذا ما كانت تلك الحقيقة أم لا، ألفريد الآن يريد فقط حماية إيفا و جانيت ابنته هو لم يرد أن تعاني أسرته بسبب مشاكل ماضيه، غضب وحاول إنكار الحقيقة و وجه سيفه نحو جانيت و من دون أن يتحكم إدوارد في جسده وقف مدافعا عنها حتى أصابه ألفريد بجرح عميق على فخذه، فسقط على الأرض ونزف بشدة..

دخل دافين و جنود من القصر عليهم و أمسكوا بألفريد، تحدث إدوارد بصعوبة لجانيت : أنا سعيد جداً، لابأس إن مت الآن..

وضعت جانيت خدها على خد إدوارد و قالت : أرجوك لا تتحدث كثرا، أنا أستطيع سماعك من دون أن تتحدث..

نظر ألفريد لإدوارد وتذكر نفسه في الماضي، أنزل رأسه وتقبل فكرة كم أنه كان مخطئا في أمور عديدة، و كم كان قلبه جبانا، تمنى لو أنه فتح قلبه في وقت أبكر لإيفا لما حدث أي شيء من ذاك، ثم أسرع دافين ومزق الحبل بسيفه و حرر جانيت و إدوارد، و حمل إدوارد الفاقد عن للوعي لعلاجه..

بعد أيام من التحقيق، تم الحكم على ألفريد بالإعدام لأنه تسبب في فوضى كبيرة في الماضي و بذلك خسرت المملكة جنديا مخلصا و قويا مثل جان تولكين، لكن قبل تنفيذ الحكم بيوم واحد اختفى من السجن و اختفت أيضا زوجته و ابنته.. تم البحث عنهم في جميع بقاع المملكة لكن لم يعثروا عليهم..

و بعد موافقة الملكة شارون تزوج إدوارد و جانيت، و تم حضور الكثير من الضيوف للحفل، كان حفلا ضخما أنيقا أشرفت عليه الملكة بنفسها، و حضر أيضا الكثير من الذين أحبوا رسم جانيت، و معارفها من دافين و كلارا و نيكولاس و داني و انيا..

حتى إيلين كانت موجودة هناك تحدثت مع إدوارد بطريقة عادية، شكرها إدوارد على مساعدتها في العثور على مكان اختطافه، و حينما ذهب استدارت نحو الجدار و نزلت دموعها، ثم وقف دافين بجانبها فأمسكت بطرف قميصه فابتسم محاولا إضحاكها:

-ألن تحاربي جانيت لتعودي إلى منصبك الخيالي، أو لماذا لا يصبح هدفك الجديد أن الزواج بي؟

تحدثت إيلين و من بين كلماتها حُرقة لا تنطفئ: اخرس، هذا ليس عدلا أبدا، لماذا لا أستطيع أن أكون سعيدة؟

في أثناء حفل الزفاف تزينت جانيت وارتدت فستانا طويلا أبيض كانت بجمال أمها، ثم دخل عليها إدوارد، كان ينظر إليها فحسب، لم يعرف كيف يتغزل بجمالها و نبضات قلبه تحدثت بالنيابة عنه..

فرحت ناومي كثيرا من أجل جانيت لدرجة البكاء، وحينما شاهدها فليكس تبكي ضحك عليها وناداها بالقبيحة، ضربته على ظهره بقوة واحمر وجهها خجلا، لكنه استمر في الضحك..

عاشت جانيت و إدوارد في منزل الجدة لوسي، كان منزل بسيط وصغير على حسب رغبتها، لكنه امتلأ بالأفراح و الآمال..

بعد مرور عام من زواجهم فتحت جانيت منزل والديها، كان منزلا كبيرا ذا غرف كثيرة متكون من طابقين، تميز بلونه الأبيض و رونقه الساكن، و حينما دخلت له شاهد إدوارد سحلية على الحائط، حاول الهرب لكن تعثر وسقط أرضا، استمرت جانيت بالضحك عليه.

بعد تجول جانيت في المنزل لم تفارق مخيلتها صورة والديها وهما يتجولان في المنزل و هما سعيدان بعودتها إليه.

تم إعادة ترميم منزل جان و أنجيلا ليصبح بعد ذلك أكاديمية للأحلام و الطموحات، أصلح لتعليم الرسم و الكتابة للفتيات، و أصبحت جانيت مديرة الأكاديمية ومشغولة كثيرا بطلبات الرسم ، أما إدوارد كان يساعد شقيقة باتريك في أمور المملكة بصفته أقرب من أي مستشار أو أي شقيق.

لقد مر الكثير من الوقت أسابيع على هذه الحال كل صباح يتناول إدوارد و جانيت الفطور مع بعضهما و يذهب كل منهما إلى العمل و في المساء يتناولان العشاء و يذهب كل منهما للنوم..

لم يتحدثا كثيرا كان كل منهما يفهم الآخر و يعرفه حق المعرفة، حتى اكتشفت جانيت بأنها بالحمل، كان كل ما يتمناه خاطرها هو ضحكات طفلتها و إدوارد تحت سقف واحد، بعد أن بدأت اعراض الحمل تظهر أكثر على جانيت أصر إدوارد على أن تتوقف عن العمل و ترتاح في المنزل.

ظلت جانيت ترسم كل يوم وهي بين جدران المنزل، ترسم كل من تحب، أكثر ما رسمت كان إدوارد، وكلما عاد للمنزل ورآها ترسم لوحة له شعر بضيق في صدره، حتى في إحدى المرات عاد متأخرا وعندما أصدر صوتا في الغرفة استيقظت جانيت التي نامت بجانب اللوحة فوق الكرسي و أسقطت اللون الاحمر على اللوحة..

اقترح ادوارد على جانيت أن يخصصا يوما لهما كعطلة من العمل للذهاب في نزهة، و وافقت على الفكرة متحمسة..

في اليوم التالي ذهب إدوارد و جانيت إلى حديقة العاصمة ذات الذكريات الجميلة ، جلسا على الكرسي الخشبي الأبيض، ما كسر الصمت هو صوت أغصان الأشجار تتضارب بفعل الرياح، و صوت المياه التي تتدفق من النافورة، تحدثت جانيت من دون تفكير وهي تضع يدها على بطنها: أريد رؤية ابنتي تكبر أمام عيني..

فوضع إدوارد يده فوق يد جانيت فنظرت إليه و كانت الابتسامة لا تفارق وجهه، وقال : أنا سعيد جدا في هذه اللحظات..

ابتسمت جانيت له، وقالت : أنا ايضا..

تلقى إدوارد سهما في قلبه، و سقط رأسه على كتف جانيت، تجمدت مكانها وهي تنظر إلى إيفا التي أطلقت السهم وهي تذرف الدموع ثم هربت، بدأ إدوارد يأخذ أنفاسه بصعوبة وقال:

-أنا لا أمانع ان أموت الان.. أنا أخذت منك أكثر مما أستحق..

سقطت يد إدوارد من فوق يد جانيت و لفظ أنفاسه الأخيرة..

مصير إدوارد أن مات على يد إيفا انتقاما لإنتحار ألفريد.. لم يستطع ألفريد أن يستمر في العيش بعد أن أدرك كمية حزن أنجيلا، و إيفا بدورها لم تتخيل أن تترك إدوارد يعيش حياة سعيدة..

كانت جانيت تخصص كل يوم وقتا تجلس فيه وهي محاطة بلوحات إدوارد تترقب أن تراه من جديد.. لقد اشتاقت لتلك اللحظات السعيدة..

هل للاشتياق سكاكين؟ لأن قلبها يؤلم كلما تشتاق إليه.. و هي تحتضن ابنتها متمنية أن تبقى بالقرب منها و تحرسها أطول فترة ممكنة، لعل هذا الألم يستنزف..